وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

قسم التاريخ.

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بومعزة (1844–1847) من خلال تقرير الضابط الفرنسي يوجين دو مارتينفال

«Bou–Maza, scheriff des Ouled–Yonnes, prisonnier des Français notice biographique et intéressante»

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1954)

إعداد الطالبتين:

شيماء مجيلي

لامية بوقطاية

تحت إشراف الأستاذ:

د. جمال الدين عمراوي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. الصالح بن سالم	أستاذ محاضر –ب–	رئيسا
د.جمال الدين عمراوي	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا
د. عبد الرزاق خضور	أستاذ محاضر–ب–	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2024–2025.

ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في 27 ماي 2020 .....

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الأول)

أنا الممضي أسفله.

السيد(ة): حجيلي نتيمام الصفة: طالب، أستاذ، باحث طالبة.

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 112114052 والصادرة بتاريخ 06-12-2018 بقصر الأبطال.

المسجل(ة) بكلية / معهد العلوم الإنسانية قسم التاريخ

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه).

عنوانها: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بومعزة (1844 - 1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين "تقرير مارنيقال أنموذجا"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: .....

اطلع عليه لتأكيد التوقيع

السيد(ة).....

رقم ب ت و

قصر الأبطال في 28 ماي 2025

ع/ رئيس المجلس الشعبي البلدي

الموظف المفوض

ن. بوراس

توقيع المعني (ة)

ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 2020 ماي 27

الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الثاني)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة) بوعظاية حميدة الصفة: طالب. أستاذ. باحث طالبة

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 111472414 والصادرة بتاريخ 03 . 11 . 2018 ببلدية برج بوعريريج

المسجل(ة) بكلية / معهد العلوم الإنسانية قسم التاريخ

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج. مذكرة ماستر. مذكرة ماجستير. أطروحة دكتوراه).

عنوانها: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بومعزة (1844 - 1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين "تقرير مارتينفال أنموذجا"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ: 26 ماي 2025

توقيع المعني (ة)

توقيع السيد: حميدة

بطاقة التعريف رقم: 111472414

بتاريخ: 03/11/2018

مصادق عليه

برج بوعريريج، في: 26 ماي 2025

رئيس المجلس الشعبي البلدي

ع/ رئيس المجلس الشعبي البلدي

ونائب رئيسي للأمانة العامة

ورئيس الديوان

بوعزة عبد الرزاق

Scanné avec CamScanner

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

« من يقرأ التاريخ لا يدخل اليأس إلى قلبه أبداً،
وسوف يرى الدنيا أياماً يداولها الله بين الناس.
الأغنياء يصبحون فقراء،
والفقراء ينقلبون أغنياء،
وضعفاء الأمس أقوياء اليوم،
وحكام الأمس مشردو اليوم،
والقضاة متهمون،
والغالبون مغلوبون،
والفلك دوار والحياة لا تقف،
والحوادث لا تكف عن الجريان،
والناس يتبادلون الكراسي،
ولا حزن يستمر.. ولا فرح يدوم » .

مصطفى محمود

شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد شكرتم فإن الله يحب الشاكرين».

الحمد لله عدد خلقه ورضا نفسه، وزِنة عرشه، ومداد كلماته، نشكر المولى عزوجل على نعمته علينا بهداية العِلم و العَمل.

كما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف "د. جمال الدين عمراوي" الذي كان لنا نعم المرشد والموجه، والذي لم يبخل علينا بالمعلومات والنصائح رغم كثرة التزاماته ومسؤولياته إلى أن اكتمل هذا العمل، فليبارك الله له في عِلمه، وعَمله، وصحته، وعائلته، ويمده بعمر مديد.

وأيضا إلى "سمير لشهب" أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة بالعلمة و "الحسين يختار" أستاذ بجامعة مستغانم، "صالح بن النبيلي فركوس" أستاذ بجامعة برج بوعريريج، لمساعدتهم لنا القيمة من خلال توفيرهم لنا لما احتجناه خلال انجازنا لهذه الدراسة المتواضعة.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل الذين علمونا خبايا التاريخ، والذين كانوا خير سند لنا طيلة سنوات الدراسة، ونخص بالذكر الأستاذين المناقشين "الصالح بن سالم، عبد الرزاق خضور" على تكرمهما وقبولهما مناقشة مذكرتنا.

إهداء

إلى الله قبل كل شيء الحمد لله كما ينبغي لوجهك وعظيم سلطانك

إلى نفسي لأنك تستحقين وبرهانا على أن الوعي والإبداع لا سقف عنيا

إلى من كانت دعوتها سر النجاح ودفء الحياة "أمي" الغالية

وإلى من كان سندي وقوتي ونبع عزيمتي "أبي" العزيز

فلا شكر يكفي لرد جميلكما ولا الكلمات تفي لوصف حقكما

إلى رفقاء البيت أصحاب البصمة الصادقة في حياتي

أخي "محمد" و أخواتي "آية، راضية، تسنيم، إيلاف".

إلى أبناء أخواتي، زهور حياتي ومصدر السعادة "صفية، صهيب، جمانة"

إلى رفيقة الخطوة الأخيرة أنا ممتنة لكي "لامية"

إلى قناديل ذكريات الأخوة، مؤنساتي، وصديقاتي

"هدى، وداد، سندس، أماني، كنزة، غفران"

إلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم صفحتي بلا استثناء.

شيماء

إهداء

إلى عالمي... إلى من كانا الحضن الأوّل والدعاء الذي لا ينقطع، إلى أبي وأمي، سرّ العطاء وقوة الاستمرار...لا عمل ولا إنجاز يوفي تعبكما، فلكما مني العمر كله شكرا وامتنانا.

إلى روح أخي الغالي هشام، غادرت الدنيا وبقيت في قلبي، رحمك الله وجعل مقامك في عليين.

إلى أغلى ما أملك... إخوتي الأعزاء:منير، عبد الرحمن، بلال، فاروق، أنتم فخري وسندي.

إلى ورداتي، زهرات حياتي:أختي نوال، هيبة، طاوس ...كنتنّ النور في دربي، والرفيقات في كل مراحل الحياة.

إلى آخر العنقود... أخي، سندي، دعمي في كل لحظة، وصديقي الوفي، إلى من كان له الفضل الكبير بعد الله في إتمام دراستي... طارق، شكرًا لا يكفيك.

إلى أختي، حبيبتي، سندي، صغيرتي الجميلة صليحة... وجودك بلسم لحياتي

إلى أولاد وبنات إخوتي وأخواتي ... أنتم بهجة القلب وامتداد الحب.

إلى من زيّن الله بها عائلتنا...أمينة، سميحة، نسرين ورانيا، شكرًا لحضورك الجميل.

إلى صديقتَيّ العزيزتين رانية وبشرى شكرا لكل لحظة صدق ورفقة.

إلى رفيقة دربي في هذا العمل، الطيبة شيماء، ممتنة لكل لحظة جمعتنا على الخير.

إلى كل من ساهم في هذا العمل من أساتذتنا الكرام... لكم مني كل التقدير.

وإلى أستاذنا ومشرفنا الخلوق، الدكتور جمال الدين عمرواي، شكرًا لعلمكم، لصبركم، ولتوجيهكم البنّاء.

« اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، ووفقني به لما فيه الخير لي ولعبادك، وارزقني به القبول والتوفيق والسداد ».

لامية

قائمة المختصرات:

الاختصار	ما يوافقه
ج	جزء
ص	صفحة
م	متر
تح	تحقيق
ع	العدد
تع	تعليق
تر	ترجمة
تق	تقديم
ط	طبعة
ص-ص	من الصفحة إلى الصفحة
هـ	هجري
ق	قرن
p	page
N	Numéro
Op, cit	Ouvrage pres cite

مختصرات و ترجمة:

ANEP	الوكالة الوطنية للنشر والإشهار

بطاقة فنية للتقرير:

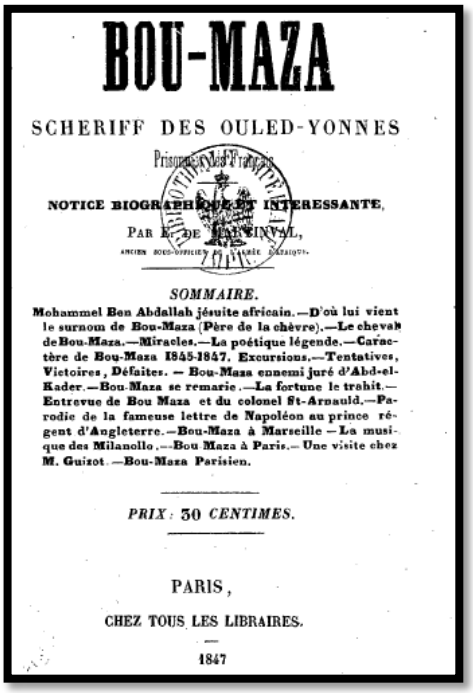

BOU-MAZA

SCHERIFF DES OULED-YONNES

Prisonnier des Français

NOTICE BIOGRAPHIQUE ET INTERESSANTE,

PAR E. DE MARTINVAL,

ANCIEN SOUS-OFFICIER DE L'ARMÉE D'AFRIQUE.

SOMMAIRE.

Mohammel Ben Abdallah jésuite africain.—D'où lui vient le surnom de Bou-Maza (Père de la chèvre).—Le cheval de Bou-Maza.—Miracles.—La poétique légende.—Caractère de Bou-Maza 1845-1847. Excursions.—Tentatives, Victoires, Défaites. — Bou-Maza ennemi juré d'Abd-el-Kader.—Bou-Maza se remarie.—La fortune le trahit.—Entrevue de Bou Maza et du colonel St-Arnauld.—Parodie de la fameuse lettre de Napoléon au prince régent d'Angleterre.—Bou-Maza à Marseille.—La musique des Milanollo.—Bou Maza à Paris.— Une visite chez M. Guizot.—Bou-Maza Parisien.

PRIX : 30 CENTIMES.

PARIS,

CHEZ TOUS LES LIBRAIRES.

1847

الاسم الكامل للمؤلف: يوجين دو مارتينفال

"Eugène de Martinval"

عنوان التقرير:

باللغة العربية:

بومعزة، شريف أولاد يونس، سجين الفرنسيين، سيرة ذاتية و مثيرة للاهتمام من تأليف إي، دو.

باللغة الأجنبية:

Bou-Maza, scheriff des Ouled-Yonnes, prisonnier des Français, notice biographique et intéressante par E. de [...]

عدد الصفحات: 32 صفحة.

حجم التقرير : نسخة الكترونية "PDF".

دار و مكان النشر: المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس.

الطبعة: دون طبعة.

الإطار الزماني: 1847.

السعر: 30 سنتيم.

مقدمة

1. التعريف بالموضوع:

أعدَّت فرنسا مخطَّطاتٍ ومشاريعٍ احتلالية وعسكرية لإحكام سيطرتها على الأراضي الجزائرية، حيث كلفت بها ضباطا عسكريين ذوو خبرةٍ، تم إعدادهم في مؤسسات عسكرية خاصة ما سمح لهم بلعب دورٍ هامٍ في تسهيل عملية احتلال الجزائر، حيث قاموا بإعداد تقارير حول أوضاع البلاد. ومن أهمّ المشاريع التي نفّذتها فرنسا، مشروع بوتان سنة 1808 الذي تمَّ تجسيده سنة 1830، وتمَّ بموجبه قيام فرنسا بحملة عسكرية على الجزائر، والتي لم تكن مجرد هجوم عسكري، بل كان مشروعا احتلاليا مدروسًا، شارك فيه نخبة من الضباط، ورجال الدِّين والمهندسين، بهدف السيطرة على الجزائر واستغلال مواردها وطمس معالم الهوية الوطنية العربية الإسلامية للأمة الجزائرية.

وفي ظل هذه الظروف، برزت العديد من المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر في مختلف أنحاء الوطن، عبّرت عن رفض الجزائريين للوجود الفرنسي، منها مقاومة متيجة سنة 1830، ومقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري سنة 1832، نفس السنة شهدت اندلا ع مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب، التي استمرت حتى سنة 1847. وفي هذا السياق العام، جاءت مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، التي تُعد من أبرز المقاومات في الوسط الغربي الجزائري، وقد تميزت بطابعها الديني والاجتماعي بحيث اعتمدت على التأثير الديني والروحي لقائدها الشريف بومعزة، الذي استطاع أن يجمع حوله عددًا من القبائل ويوجهها نحو العمل المسلح.

وقد شكلت مقاومته، رغم قصر مدتها، مصدر قلق كبير للإدارة الفرنسية، ما دفعها إلى تتبع تحركاته وكتابة تقارير مفصلة حول نشاطه وتأثيره. ومن بين أهم هذه الوثائق، نجد تقرير الضابط الفرنسي دو يوجين مارتينفال "Eugène de Martinval"، الذي يعتبر من المصادر التي لا يمكن تجاوزها في دراسة شخصية ومقاومة

الشريف بومعزة، في ظل غياب وندرة المصادر المحلية، لكنَّ معلوماته عن بومعزة جاءت مشبعة بالتحريفات والدعاية الاستدمارية، ما يدفع إلى ضرورة إعادة قراءتها قراءة نقدية تحليلية.

2. طرح الإشكالية الرئيسية و الأسئلة الفرعية:

وضمن هذا التّصور جاء اختيارنا لموضوع دراستنا الموسوم بـ: "مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بومعزة (1844-1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين –تقرير مارتينفال أنموذجا-".

وعليه نطرح **الإشكالية** التالية: كيف تناول تقرير مارتينفال حياة ونشاط الشريف بومعزة أثناء المقاومة والنّفي؟ وما الاختلاف بين روايته والمصادر التّاريخية الأخرى؟ طرح الإشكالية بهذا الشكل هو محاولةٌ لإعادة قراءة ودراسة مقاومة بومعزة من كل الجوانب الممكنة، وتحديد الإشكالات الفرعية، وأهمها:

- ما السياق التّاريخي والسِّياسي الذي مهد لاندلاع مقاومة الشريف بومعزة؟
- ما هي العوامل والظروف التي ساهمت في نشأة وتكوين شخصية القائد الشريف بومعزة؟
- ما هي المراحل التي مرت بها مقاومة الشريف بومعزة؟ وما أهمُّ المعارك التي خاضها؟
- ما الأسلوب والمنهج الذي اعتمده مارتينفال في كتابة الأحداث والوقائع في تقريره؟
- ما مدى موضوعية مارتينفال؟ وكيف يمكن قراءته قراءةً نقديةً في ظلِّ المعطيات الأخرى؟

3. دوافع اختيار الموضوع:

هناك دوافع عديدة كانت وراء اختيارنا لهذا الموضوع، وتحفيزنا على خوض غمار هذا البحث في تفاصيله الدقيقة، منها ما هو ذاتي متعلقٌ بالباحث، ومنها ما هو موضوعي متعلقٌ بموضوع البحث نفسه، نذكر منها:

– الرغبة في دراستنا لشخصية جزائرية قيادية لها أثارها في تاريخ الجزائر مُمَثَّلةً في القائد الشريف بومعزة الذي يعدُّ رمزا تاريخيا بالنسبة لتاريخ الجزائر وشعبها.

– رغبتنا في خوض تجربة بحثية مميزة، باعتبار أنَّ دراسة مقاومة الشريف بومعزة من خلال تقرير مارتينفال يعدُّ خطوة جديدة في البحوث الجامعية.

– دراسة التَّاريخ الجزائري من منظور الاحتلال الفرنسي، باستخدام طرق وأساليب تحليل البحث العلمي.

– قلَّة الدِّراسات التي تناولت الفترة الأخيرة من حياة الشريف بومعزة، التي تمَّ تناولها بشكل مختصر.

– طبيعة الموضوع، حيث تعتبر مصادره من الوثائق النادرة التي وثَّقت أحداث ووقائع مقاومة بومعزة والسياسة الفرنسية إزاءها.

4. أهداف الدراسة: يهدف بحثنا إلى تحقيق جملة من الأهداف، وهي:

– التَّعريف بمنطقة حوض الشلف، وجبال الظهرة، والونشريس، واستحضار تاريخها خلال العهد الاستدماري.

– محاولة تسليط الضوء على أهم المقاومات التي تمَّ تغييبها في الذاكرة التاريخية، رغم دورها في الميدان العسكري والسياسي الجزائري.

– دراسة معمقة لشخصية الشريف بومعزة.

– التَّعريف بأهم محطات حياته، ومدى مساهمته في الحياة الثورية.

– دراسة تقرير مارتينفال دراسة تحليلية، من خلال استجلاء الأحداث التّاريخية المتعلقة بالشريف بومعزة، والكشف عن السَّرد الاستدماري الفرنسي لرموز المقاومة، وإبراز التناقضات في الروايات الفرنسية، وإعادة تدوين الوقائع التَّاريخية الجزائرية.

5. المنهج المتبع في الدراسة:

للإجابة عن الإشكالية المطروحة، اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي، إضافةً إلى المنهج المقارن التحليلي، والمنهج البيوغرافي باعتبار أنَّ المنهج التاريخي الوصفي خدم الدراسة في وصف مختلف الأحداث التاريخية، والتَّعريف بها زمانيا ومكانيا، فدراستنا لتاريخ منطقة المقاومة، استوجب علينا وصف مجالها الجغرافي، وذكر أوضاع المنطقة، وتتبع الأحداث التاريخية وترتيبها كرونولوجيا، و المنهج البيوغرافي من خلال تتبع حياة الشريف محمد بن عبد الله من مولده حتى تاريخ وفاته، أما المنهج التَّحليلي فقد سمح لنا بتحليل الأحداث تحليلا موضوعيا، مكَّننا من دراسة تقرير مارتينفال والوقوف عند أهم المحطات التي تناولها عن حياة الشريف بومعزة لفهم أبعاد الخطاب الاحتلالي فيه، وظهر المنهج المقارن في المقارنة بين مختلف الروايات.

6. الدراسات السابقة المعتمدة في الدراسة:

لم تنل مقاومة الشريف بومعزة فيما اطلعنا عليه على مستوى الأبحاث الجامعية، على تغطيةٍ وافيةٍ حيث تطرقت إليها معظم الدراسات بشكلٍ جزئيٍّ، وكلُّ ما وجد حولها محصورٌ في بعض المقالات المنشورة في الجرائد والمجلات، ومن بين هذه الدراسات:

– الأستاذ محمد الأمين شرويك بعنوان: الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنائية المقاومة والموالاة للاستعمار (1830-1954)، وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعةسيدي بلعباس2020. إذ تطرق في الفصل الثاني إلى: الواقع الاستعماري والطرق الصوفية في عنصر الانتماء الطرقي ودوره في قيادة المقاومة

الشعبية، حيث تناول مقاومة الشريف بومعزة في بعدها الديني وقد حاولنا الاستفادة منها في الإشارة للتَّكوين الديني لبومعزة، في جزئية علاقته بالطرق الصوفية.

- الأستاذ أحمد بحري بعنوان: حاضر مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث (1500-1900) وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة وهران 2012-2013، حيث تناول الباحث في الفصل الأول التاريخ السياسي لمازونة، ودور سكانها في الانخراط في مقاومة الشريف بومعزة فحاولنا الاستفادة من الأطروحة في جزئية المنطلقات الجغرافية.

أما فيما يخص المقالات التي تناولت مقاومة الشريف بومعزة، والتي كانت تغطيتها أشمل من المذكرات نذكر مقال:

- العربي بلعزوز، بعنوان التَّوغل الاستعماري في منطقة حوض الشلف الأوسط، وموقف سكان المنطقة منه (1842-1846)، المنشور في مجلة العصور الجديدة، العدد 24-25، 2016، حيث عرض فيه الباحث السياق العام للمقاومات في المنطقة، ما سمح بفهم الإطار الجغرافي والسياسي للمقاومة والذي اعتمدنا عليه في جزئية الأسباب والمراحل.
- ثم مقال الحسين يختار، بعنوان حقائق من سيرة الثائر شريف بومعزة، المنشور في جريدة الخبر1 فيفري 2019، حيث قدم قراءة تحليلية للوثائق الفرنسية، والمغالطات التي حاولت نشرها عن الشريف بومعزة ومقاومته وقام بتفنيدها، وهو ما أفادنا في جزئية التّعريف ببومعزة والتّعليق عليها.
- مقال فارس العيد بعنوان مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله (الملقب ببومعزة) (1844-1847) من خلال الكتاب والضباط الفرنسيين –كتاب سانت أرنو أنموذجا-، المنشور في مجلة الرواق، إذ قدم دراسة تحليلية لمقاومة بومعزة، من خلال رسائل سانت أرنو Saint-Arnoult، الذي أفادنا في جزئية وجهة نظر سانت أرنو حول مقومة الشريف بومعزة.

7.خطة البحث:

لمعالجة موضوع بحثنا، والإحاطة به من كل الجوانب المعرفية، قمنا بتقسيمه إلى مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة ودعمناه بمجموعة من الملاحق:

تناولنا في الفصل الأول الموسوم بـ"**مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، من الخلفيات إلى النتائج 1844-1847**" حيث تضمن في مبحثه الأول المنطلقات الجغرافية والتاريخية للمقاومة تحدثنا فيه عن المجال الجغرافي وأوضاع المنطقة قبل اندلاع المقاومة، أما المبحث الثاني فتعرفنا فيه على سيرة محمد بن عبد الله، من خلال معرفة نسبه، وتكوينه الديني، وحياته في المنفى وفي المبحث الثالث تطرقنا لأسباب، مراحل ونتائج مقاومته.

بالنسبة للفصل الثاني، الذي كان بعنوان "**دراسة وصفية تحليلية لتقرير مارتينفال**" فقد تناولنا في المبحث الأول وصف التّقرير من حيث المحتوى، والتعريف به، وأهميته، أما المبحث الثاني فقد تمَّ فيه تقديم التَّقرير، والتعريف بكاتبه، وملخصًا عاما عن محتواه. في المبحث الثالث حاولنا ترجمة التقرير ترجمة حرفية، مع شرح المفاهيم الواردة فيه.

جاء الفصل الثالث بعنوان "**مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من خلال تقرير مارتينفال بين الحقيقة والتحريف**"، الذي تناولنا في مبحثه الأول سيرة الشريف بومعزة، حيث تطرقنا إلى نشأته، وقضية وصفه بالمهدي المنتظر، أما المبحث الثاني فقد حاولنا فيه عرض نضاله، وعلاقاته، ليأتي المبحث الثالث للحديث عن نهاية الكفاح واستسلام بومعزة ونفيه.

كما وضعنا لهذا البحث خاتمة تضمنت مجموعة من النتائج، التي توصلنا إليها، وتمكَّنا من خلالها من الإجابة عن الإشكالية المطروحة.

8. عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع، التي ساعدتنا في تغطية الجوانب التّاريخية والتّحليلية لمقاومة الشريف بومعزة، وقد مثلت المصادر الفرنسية مادة أولية عُدنا إليها، لقلة المصادر باللغة العربية في تلك الفترة، ومن أهم هذه المصادر:

- تقرير مارتينفال "Le Scheriff Bou-Maza prisonnier des français" باعتباره موضوع الدراسة، وقد اعتمد في تقريره على الخطاب الفرنسي لتمجيد فرنسا.
- كتاب شارل ريتشارد " Etude de l'insurrection de Dahra (1845-1846)" كونه أحد الضباط الذين عاشوا الواقعة، وكان ملازمًا لبومعزة في منفاه، هذا الكتاب ركز على البعد الديني لمقاومة الشريف بومعزة، وحاول تجريدها من بعدها الوطني، وقد اعتمدنا عليه في جزئية التعريف ببومعزة والتعليق عليها.
- كتاب هنري غارو "Histoire générale de L'Algérie" حيث قدم في كتابه تحليلاً سياسيًّا وعسكريًّا لمقاومة الشريف بومعزة، من منظور استعماري، بهدف تبرير القمع الفرنسي وقد تمَّ الاعتماد عليه في جزئية تواجد بومعزة في المنفى وفي التَّعليق على نسبه.
- أبو قاسم سعد الله " الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900) الجزء الأول" تناول مقاومة بومعزة على كافة الأصعدة، لكنَّه لم يقم بالتَّفصيل والتوسع فيها، كما أنَّه اعتبر مقاومة الشريف بومعزة امتدادًا لمقاومة الأمير عبد القادر، وقد يعود هذا الأمر لتزامن جهاد بومعزة مع مقاومة الأمير حيث اعتمدنا على الكتاب في عِدَّة عناصر من بحثنا.
- موسى عبد القادر"L'épopée du Sheriff héros Algérien du Dahra" تناول هذا الكتاب تغطيةً شاملةً لمقاومة الشريف بومعزة على كافة الأصعدة، لكنَّ الكاتب قام بسرد الوقائع دون التَّوقف

لتحليل أبعادها السياسية، بالإضافة لاعتماده على المصادر الفرنسية. وقد اعتمدنا عليه في المنطلقات الجغرافية، وفي تكوين الشريف بومعزة الديني والتّعليق عليها.

- مقال يحي بوعزيز "المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضدَّ الاستعمار الفرنسي" حيث قدم فيه تحليلا دقيقا على مقاومة الشريف بومعزة، مع التَّركيز على الجانب السياسي والعسكري للمقاومة، لكن المؤرّخ لم يتطرق فيه لتفاصيل نشأة بومعزة، خاصة فترة تواجده بفرنسا، وقد اعتمدنا عليه في المنطلقات الجغرافية لمراحل المقاومة.
- مقال حورية جيلالي "على خطى الثائر محمد بن عبد الله المعروف بالشريف بومعزة من الظهرة إلى باطوم 1822–1879"، وهو مقال ضمن كتاب جماعي: كمال بن صحراوي: " النفي والإبعاد في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962 ". الذي قام بتغطية شاملة لمقاومة بومعزة ويعدُّ من بين المراجع المهمة التي تناولت حياة بومعزة في المنفى، لكنَّ المقال اعتمد على المصادر الفرنسية، دون تحليلها ونقدها، حيث اكتفت الباحثة بسرد ما جاء فيها، وقد اعتمدنا عليه في استجلاء بعض المعارك، والإلمام ببعض المعلومات أثناء تواجد بومعزة في منفاه بفرنسا.

9. الصعوبات التي واجهتنا أثناء انجاز الدراسة: واجهتنا مجموعة من الصعوبات أثناء إنجاز بحثنا هذا، نذكر منها:

- عدم توفر السيرة الذاتية لشخصية الضابط مارتينفال، وهذا راجع لخصوصية الوثائق ذات الطابع العسكري الإداري، المتواجدة في الأرشيف الفرنسي الذي تعذَّر علينا الوصول إليه.

- قلة المصادر الوطنية التاريخية في هذا الموضوع، مقارنة بالكتابات الفرنسية، التي تحمل تحيُّزا احتلاليًا واضحا، وتشابهها في المادة العلمية مع ما ورد عند بعض المؤرخين.

– دراسة التقرير التاريخي، تتطلب جهدا مضاعفا لفهم المصطلحات، والسياق التاريخي، والاعتماد على العديد من النماذج والآراء، من أجل التَّحليل والمقارنة للوصول إلى نتائج بحثية أكثر دقة.

هذا وقد بذلنا كل جهدنا ليصل هذا العمل إلى مرحلته الأخيرة، ويُقدَّم في شكل مقبول، ومضمون غنيٍّ يرضي اللَّجنة الموقرة المكلفة بمناقشته،وإبداء الملاحظات الهامة، حتى يصل هذا العمل إلى درجة أفضل.

الفصل الأول: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من الخلفيات إلى النتائج 1844-1847.

المبحث الأول: المنطلقات الجغرافية و التاريخية للمقاومة.

1. المجال الجغرافي.
2. أوضاع المنطقة قبل اندلا ع المقاومة.

المبحث الثاني: سيرة الشريف محمد بن عبد الله.

1. نسبه و تكوينه الديني.
2. حياته في المنفى.

المبحث الثالث: دوافع و حيثيات المقاومة ونتائجها.

1. أسباب المقاومة.
2. مراحل المقاومة ونتائجها.

تمهيد:

برزت في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، عدَّة شخصيات قيادية، ناهضت الاحتلال الفرنسي واتسمت بروح وطنية ودينية عاليةٍ، ومن أبرز هذه الشخصيات القائد والمجاهد الشريف محمد بن عبد الله حيث تعتبر مقاومته امتدادًا مهمًّا لحركات المقاومة الشعبية في الجزائر، التي اندلعت في مختلف ربوع الوطن. تميزت مقاومة الشريف بومعزة بخصوصية نابعةٍ من طبيعةِ المنطقةِ التي انطلقت فيها، ومن الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك، ومنه؛ تأتي أهمية هذا الفصل الذي تمَّ تسليط الضوء فيه على الأوضاع العامة للمنطقة الممتدة على طول الشريط الساحلي للوسط الغربي، من حوض الشلف إلى جبال الظهرة والونشريس، التي شكلت موقعا استراتيجيا لأحداث مقاومة بومعزة، وهو ما جعلنا نحاول التعرف على طبيعتها الجغرافية وخلفياتها التاريخية. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى نشأة الشريف محمد بن عبد الله، والعوامل التي ساهمت في نيله مكانة اجتماعية ودينية رفيعة، وكسب دعم القبائل ما مكّنه من توسيع نطاق جهاده في جبال وسهول الشمال الغربي نحو الجنوب، وذلك من خلال تحليل أسباب المقاومة، والعوامل السياسية والاقتصادية التي قامت من أجلها، لنعرض بعد ذلك أهم المراحل التي مرّت بها مقاومة الشريف بومعزة، وصولا إلى النتائج التي خلفتها، وانعكاساتها على مسار المقاومات الشعبية ضدَّ الاحتلال الفرنسي.

المبحث الأول: المنطلقات الجغرافية والتاريخية للمقاومة.

1. الموقع الجغرافي:

تقع جبال الظهرة في القسم الغربي للجزائر، وتمتد حدودها الشرقية إلى وسط البلاد، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب إقليم الهضاب العليا، وتتكون من أقاليم جغرافية متباينة من حيث المناخ والتضاريس، والنباتات والإمكانيات الاقتصادية.[1]

يصف موقعها إبراهيم نغلي بقوله: «تقع جبال الظهرة في الشمال، تطل على البحر الأبيض المتوسط وتمتد في شكل مستطيل من الشرق إلى الغرب، ويعتبر جبل زكار امتداد لهذه السلاسل الجبلية.»[2] تقع هذه الجبال في أقصى الحدود الشرقية الشمالية لمقاطعة وهران بين ساحل البحر المتوسط وحوض الشلف وتشمل كل الأراضي الواقعة بين تنس ومصب نهر الشلف[3] ومن أشهر جبالها جبل الشيخ 533م، وجبل تزقايت 547م، وجبل سيدي عامر 657م، وجبل سيدي سليمان 683م، كما شملت سلسلة من الأودية كواد شلف وواد الخميس اللذان يصبان في البحر المتوسط فالأول ينبع من الونشريس والثاني ينبع من منطقة الخميس وفي هذا الصدد يذكر أحمد بحري أن لوكيل يوسف[4] وصفها في كتابه " مازونة العاصمة

---

[1] يحي بوعزيز: المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي، مجلة الأصالة، ع 83-84، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، الجزائر، 1980، ص02.

[2] إبراهيم نغلي: **تاريخ مدينة ملیانة من خلال الكتابات التاريخية**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع20، جامعة الشلف، 2018، ص115.

[3] Moulay Belhamissi, **Histoire de Mazouna**, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1981, p13.

[4] هو يوسف بن محمد الشيخ بن عبد القادر بن محمد بن مصطفى بن نجدة، ينتمي إلى عرش بومانع ولد سنة 1884 بمازونة، تلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية ثم تابع دراسته بمدرسة المعلمين ببوزريعة ثم قسنطينة وسافر إلى فرنسا لمواصلة دراسة الحقوق واشتغل في الإدارة الفرنسية مترجما، نشر هذا الكتاب سنة 1912، وكان هدفه الحديث عن الماضي وبالضبط عن مدينة مازونة وبعض المدن الهامة التي اهتم بها الأهالي، وتعريف الفرنسيين بطبائع هؤلاء الأهالي في معيشتهم ومختلف الجوانب الأخرى. (انظر جمال عطابي: **معالم وأعلام مدينة مازونة التاريخية**، مؤسسة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، ع10، الجزائر، جوان2017، ص251).

القديمة للظهرة"، مبرزا أهم خصائصها الجغرافية بأنها «إقليم جبلي، تتخلله مجاري مائية لكثرة منابع الماء فيه» مسترسلا «دون أن تصل هذه المجاري إلى تشكيل وديان مهمة».[1]

وإلى الجنوب من جبال زكار والظهرة، يقع حوض الشلف، ويقصد به «تلك المناطق الواقعة بين ضفتي وادي الشلف الشمالية والجنوبية، وهذا انطلاقا من منطقة قصر البخاري وصولا إلى مصب الوادي شرق مدينة مستغانم» [2]الذي «يمتد على طول 200 كلم تقريبا ما بين مليانة شرقا، وغليزان غربا، وقد تكَون هذا الحوض من رواسب المجاري المائية التي تنزل إليه من مرتفعات جبال زكار والظهرة شمالا ومرتفعات جبال الونشريس جنوبا، والأطلسين: التيطري، والبليدي شرقا، ويمثل هذا الحوض منطقة زراعية ممتازة حاليا بتنوع مزروعاته واعتماده على السقي، والوسائل العصرية المختلفة».[3]

وإلى جنوب حوض الشلف تقع كتلة جبال الونشريس وقد وصفها الإدريسي، بأنَّها من أهم جبال البلاد[4] تمتد من الأطلسين: التيطري، والبليدي شرقا إلى جبال بني شقران، وفرندة غربا، وتجاورها في الجنوب هضبة السرسو. ترتفع جبال الونشريس عن سطح البحر بـ1987 متر، حيث تعلو قمة سيدي عمر وإشاون عن سطحه بـ 1850متر، مناخها قاري، شديد البرودة، كثير الثلوج في الشتاء، شديد الحرارة، والجفاف في الصيف. إمكانياتها الاقتصادية، الفلاحية، والحيوانية ضعيفة.[5]

---

[1] أحمد بحري: **حاضر مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500–1900**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، 2013، ص12.

[2] صالح صحراوي، ميلود ميسوم: **السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843–1962 مدينة أورليان فيل نموذجا**، مجلة المفكر، مجلد6، ع2، جامعة الشلف، 2022، ص195.

[3] يحي بوعزيز: **المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص02.

[4] سميرة أنساعد: **صورة مدينة الشلف وضواحيها في الكتابات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر**، مجلة الباحث، ع1، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2018، ص05.

[5] يحي بوعزيز: **المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص03.

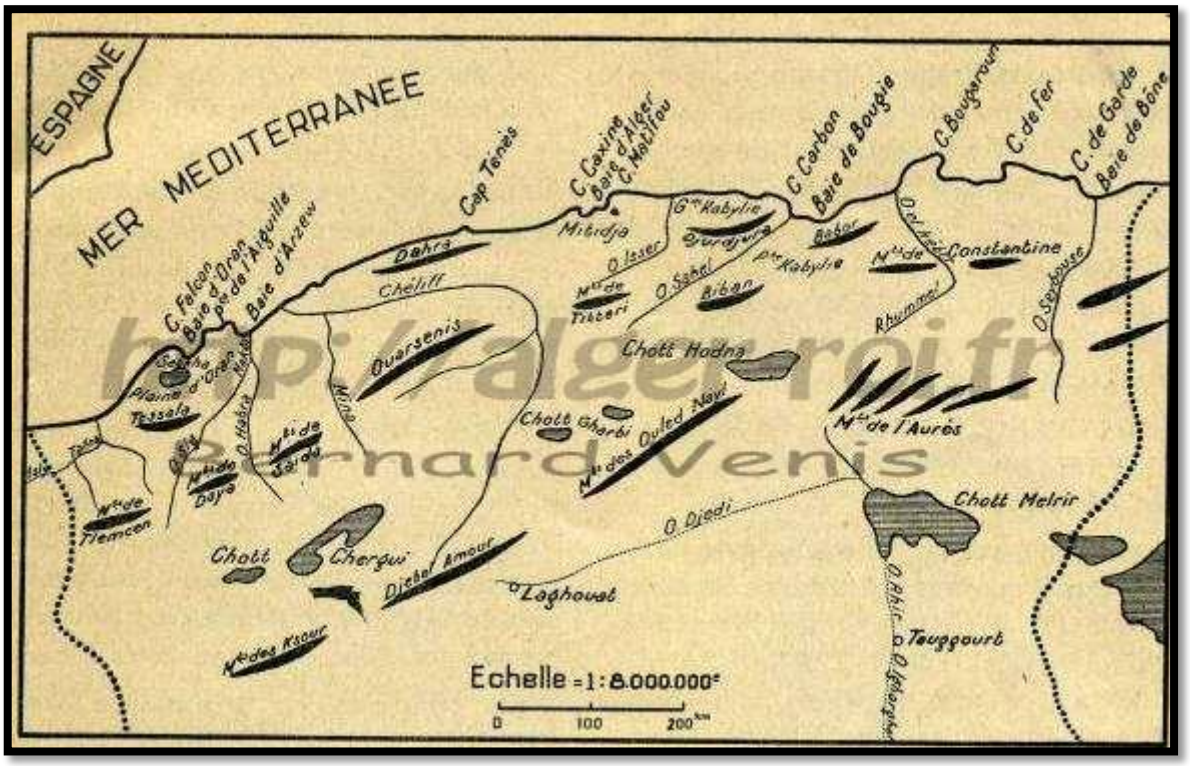

الصورة 01: خريطة لموقع المنطقة (جبال الظهرة، حوض الشلف وجبال الونشريس)

(المصدر : R.Vincent, M.Teillet, Géographie De L'Algérie, G'Edition, Oran, 1952, p04)

2. أوضاع المنطقة قبل اندلا ع المقاومة:

بعد الاستيلاء على الجزائر العاصمة، بقي الفرنسيون في المدينة ومحيطها لعدَّة أشهر، وهي مدة كافية لنهبها، وطرد العديد من سكانها من منازلهم، وتدمير العديد من المساجد، وما إلى ذلك، على الرغم من الاتفاقيات والوعود الرسمية، للأسف كان أولئك الذين ادعوا أنَّهم متحضرون في الواقع برابرة، ثم تقدموا فجأة نحو الغرب، نحو البليدة وسهل متيجة الغني.[1] شهدت هذه المنطقة الواسعة، أحداثا هامة، فقد خاض

[1] Moussa Abdelkader, **L' épopée Du Héros Algérien Du Dahra 1822-1879**, Dar Al Ikhlas w Asawab , Algérie, 2022, p22.

السكان معارك كثيرة ضدَّ التوسع الاستدماري حيث كانت قبائل هذه المنطقة سباقةً في مبايعة[1] الأمير عبد القادر، وممن حضر البيعة الخاصة في 4 فيفري 1833 بمعسكر هم: بني خويدم، صبيح، بني القصير، مرابطي مجاجة، بني العباس، سنجاس والعطاف[2] واعترفت هذه القبائل بسلطته.[3]

و ما تجدر الإشارة إليه أنّه في عام 1835، انطلق الأمير عبد القادر[4] بقوات محدودة نحو الشرق، وعمل أثناء مسيرته على بسط الأمن في المنطقة، من خلال القضاء على المعارضين للسلطة التي ارتضاها أغلب الجزائريين، وقد تمكَّن في طريقه من هزيمة الحاج السعيد في وادي مينا، ثم ألحق الهزيمة بشيخي المخزن السابقين، أبا عبد الله والعربي، وقبيلة صبيح في الشلف، بعد أن أفسدوا المنطقة، وكان ذلك في الخامس عشر من أبريل عام 1835م[5].

خلال رحلة الأمير عبد القادر الجزائري، حظي باستقبال حافل من قبل العديد من القبائل التي أظهرت ترحيبا كبيرا به، كما انضم أفراد كُثرٌ من هذه القبائل إلى صفوف المقاومة الوطنية المنظمة آنذاك. ومن بين تلك

---

[1] لغة: هي التولية وعقدها. (انظر: مجمع اللغة العربية في مصر: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق، ط4، 1425، ص79). ويعرفها ابن خلدون: «البيعة هي العهد على الطاعة، كان المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك وهي عقد بين الحاكم والمحكوم يوجب كل منهما التزامات». (انظر: عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، ج1، طبعة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001، ص261).

[2] الأمير محمد: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، الطبعة التجارية عزوزي، الإسكندرية، مصر، 1903، ص 102.

[3] محمد الحاج صادق: **مليانة ووالیها سیدي أحمد بن یوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964، ص40. (انظر الملحق رقم 01 ص 104)

[4] الأمير ناصر الدين عبد القادر هو الابن الرابع لمحي الدين، وينتمي إلى قبيلة الهاشم، ولد في شهر مايو 1807 بقرية القيطنة الواقعة على ضفة وادي الحمام بسهل غريس، نشأ في كنف عائلة دينية تتبع الطريقة القادرية، بعد أن رشحه والده لهذه المهمة، تولى قيادة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، وحظي بمبايعة شيوخ وأعيان القبائل في بيعتين: الأولى في 21 نوفمبر 1832، والثانية في 4 فبراير 1833، انطلق في الجهاد المقدس بفكرة ضرورة إيجاد وبناء دولة قوية وعصرية تضمن استمرارية النضال ضد عدو قوي، أوجد أسس وضوابط ثابتة بدايتها سلطة صارمة ومطلقة تستند على القرآن والسنة ومبدأ الشورى، أسس نظام إداري محكم وجيش منظم وعدالة صارمة ونظام ضريبي دقيق اعتنى بالزراعة والصناعة امتدت مقاومته من 1832 إلى 1847 حقق فيها عدة انتصارات ضد الفرنسيين في معارك فاصلة أشهرها معركة المقطع سنة 1835 ومعركة سيدي إبراهيم سنة 1845، أجبر الفرنسيين إلى اعتماد أسلوب التفاوض معه وإبرام معاهدتين فرض فيها شروطه: الأولى معاهدة دميشال سنة 1834، والثانية معاهدة التافنة سنة 1837. (أنظر: إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص، ص 33،34).

[5] E. Dumas, **Correspondances du capitaine Dumas consul à Mascara1837-1839**, ed Jourdan, Paris, 1921, p156.

القبائل، نذكر أولاد قصير وأولاد السابح. أما بالنسبة لشخصيات المنطقة البارزة التي كانت في مقدمة مستقبلي الأمير عبد القادر، فيُشار إلى الشيخ البغدادي، الشيخ العطاف، والحاج محي الدين، بالإضافة إلى وجهاء قبائل حجوط وموزاية وسماتة وغيرها.[1] شهدت المنطقة معارك ضارية وقاتلة خاضتها قبائل بني مناصر وحجوط الباسلة، إضافة إلى قبائل أخرى، تحت قيادة الأبطال العظماء محمد بن عيسى البركاني ومحمد بن علال، حيث تم تعيينهم بعد فترة خلفاء للأمير عبد القادر؛ الأول في المدية، والثاني في مليانة. خلال الفترة من 1832 إلى 1845؛ امتد مسرح العمليات إلى سهل الشلف مُرورا على جبال الشريعة وزكار وجبال شنوة في شرشال، وسفوح الونشريس، هناك جعل الأمير عبد القادر الحياة صعبة على القوات الفرنسية.[2]

[1] محمد الحاج صادق: المرجع السابق، ص40.

[2] Moussa Abdelkader, op, cit, p22.

المبحث الثاني: سيرة الشريف محمد بن عبد الله.

1. نسبه وتكوينه الديني.

الشيخ الشريف؛ مول الساعة، المهدي، والأكثر شهرة بومعزة، كلها ألقابٌ أطلقت على شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره، قال البعض أنَّه من الشرفاء وبعضهم قال أنَّه من المغرب، وآخرون اعتبروه من الجنوب، والبعض قال أنَّه من مكَّة، وذهبت بعض المغالطات الفرنسية إلى اعتبار أنَّه من السماء.

- فمن يكون ياترى الشريف بومعزة؟

هو محمد بن عبد الله بن واضح بن عبد الله، تعود أصول عائلته الأولى "لتارودانت" بجنوب المغرب الأقصى قدمت إلى المغرب الأوسط في عهود مبكرة.[1] ينتمي لقبيلة صغيرة من المرابطين من "أولاد سيدي واضح".[2] التي تنحدر من سلالة الأشراف الأدارسة من نسل النبي -صلى الله عليه وسلم- الواقعة في الضفة اليسرى لنهر الشلف وأولاد خويدم جنوب غليزان.[3]

ولد في أوائل القرن التاسع عشر حوالي سنة 1822، و هو من عائلة معروفة ومتدينة، والده واضح بن عبد الله كان رجل دين أصيب بالعمى المبكر، والدته عائشة بنت بوهني، كانت امرأة متدينة صالحة، أعمامه بخيرة بن تركي، وقادة بن عيسى الذي شغل منصبًا قياديًّا في عهد الدولة العثمانية،[4] لدى الشريف بومعزة ثلاثة إخوة، ابن عبد الله (توفي 1850) الابن البكر متزوج من السيدة زهراء التي أنجب منها الطفلة زينب، عبد القادر الذي توفي في غارة عام 1843، وعُمَر (ولد في حوالي1830 أو 1832)

---

[1] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 2009، ص79.

[2] واضح بن عثمان محمد بن عيسى بن فكرون المغراوي ولد سنة 856هـ/1452م، قاضي ومن فقهاء المالكية من الأشراف الأدارسة. (انظر: عادل نويهض: **معجم الأعلام الجزائرية من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص207).

[3] Charles Richard : op,cit, p13.

[4] الحسين يختار: حقائق **من سيرة الثائر الشريف بومعزة**، جريدة الخبر، الجمعة 01 فيفري 2019، ص05.

الأخ الأصغر المفضل للشريف والذي رافقه في جهاده.[1] زوجته مريم بنت مصطفى بن زيان من أولاد يونس عاش محمد بن عبد الله عند امرأة أرملة تكبره سنًّا، متدينةٍ، كفلته هو وزوجته،كان يميل لحياة الزُّهد والتَّدين منذ صغره، ربى ماعزًا كانت تتبعه أينما حلَّ لذا أطلق عليه لقب"بومعزة" أي "أبُ الماعز" التي أصبحت كنيته التي اشتهر بها.[2]

أ. صفاته:

شخصية متميزة وطنية، وقائد جمع بين الذكاء والقوة، والأخلاق والشجاعة، ليس رجلا عاديا فهو يتمتع بجرأة لا تقهر ممزوجة بقدر كبير من الذكاء،[3]كان محاربًا يحبُّ رائحة البارود، وصوت المدافع وصهيل الأحصنة.[4]

زعيمٌ لا يُستهان به، امتلك الموهبة والقوة،كان قادرًا على القتال لأشهُر، رجل بارز، شكل نفسه بنفسه.[5] استطاع إدارة المعارك بشجاعة وهو شاب في مقتبل العمر، فرغم التَّطور في العتاد والعُدَّة التي عُرف بها الاحتلال الفرنسي آنذاك، إلا أنَّ بومعزة استطاع زرع الخوف في قلوب الفرنسيين،[6] حيث جَمَّد اسمه شجاعة الفرسان الفرنسيين لدرجة أنَّهم كانوا يهربون كلما رأوه في الأفق.[7] شخص تقيٌّ زاهدٌ، حسن السلوك متمسكٌ بالتعاليم الدينية، نظرا لثقافته وتفقهه بالدين، وفصاحة لسانه، وقدرته على الإقناع ما جعله يكتسب احترام

[1] Sadki Abdelaziz, **Mouvement chérifien** , https://histoiredelalgerie.over-blog.com, consulté le 10 avril 2025, à 3 :10 pm.

[2] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص79.

[3] Saint Arnaud, **Lettre du Marechal de Saint Arnaud (1832-1854)**, T2, librairie hachette et cie, Paris ,1870, p144.

[4] Eugène de Martinval, **Le Schriff Boumaza prisonnier des français, Notice biographiaue**, gallica, Paris,1847, p09.

[5] L.E Courserant, **Une Page Glorieuse Du Livre D'or de Mostaganem**, Gallica, Paris, 1892, p13.

[6] شارل هنري تشرشل: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية، تونس، 1974، ص229.

[7] Siroka, **Revue Africaine**,publie par la societe historiaue algerienne, adolphe jourdan, libraire éditeur, Alger, 1912, p444.

عددٍ كبير من الناس،[1] كان زعيمًا دينيًا، يتمتع بجاذبية روحية وسط القبائل وله القدرة على التَّأثير في النفوس.

وفيما يخص صفاته الشكلية، كان نحاسي البشرة، واسع العينين، أسودَهما، بجفون طويلة، وحواجب مقوسة، طويل القامة.[2] لا توجد لحد الآن صورة شخصية للشريف محمد غير الرسمة التي ظهرت في جريدة "L'Iliustration" للرسام "غابريال إيسكي""gabriel esque" [3] نظرا لاستراتيجية الغموض التي انتهجها الشريف محمد بن عبد الله لحركته المتخفية وظروف المقاومة.

شخصية بارزة ذاع صيتها في أرجاء البلاد، وما وراء البحار، شكل الشريف محمد بن عبد الله اهتمام العديد من الأقلام والصحف خاصة خلال الفترة بين 1845-1847.

ب. تكوينه الديني:

لعب التعليم الديني دورا هاما في تشكيل شخصية القائد والزعيم شريف محمد بن عبد الله، حيث نشأ في بيت متدين ومحافظ كون والده رجل دين ينتسب "للطريقة الطيبية ".[4]

حفظ القرآن في الزوايا المحلية، ثم غادر بعدها نحو"دوار سواحلية " أحد فروع عرش "أولاد يونس" لتلقي العلوم الشرعية، وعلوم اللُّغة؛ حيث تعرف على الشيخ الفقيه "الحاج محمد اليونسي" الذي وعده بالعناية والتكوين العلمي.[5] قضى شبابه متنقلا من زاوية إلى أخرى في شمال إفريقيا،[6] درس بالزاوية الطيبية في المغرب

---

[1] Moussa Abdelkader, op, cit, p31.

[2] نعيمة عبد الحميد: **موسوعة الأعلام الجزائرية 1830–1854**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954 ، الجزائر، 2007، ص 103.

[3] (انظر الملحق رقم 5 ص 108).

[4] نشأت في "وزان" بالمغرب الأقصى على يد الشيخ الشريف تولاها بعده ابنه محمد بن عبد الله الشريف وأصبح لها فروع من المقدمون من المغرب والجزائر، ثم تولاها ابنه الطيب الذي عرفت في عهده ازدهارا وأصبحت تعرف بالطيبية. (انظر: أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص515).

[5] الحسين يختار: المرجع السابق، ص05.

ونظرا لثقافته، وتفقهه بالدين وفصاحة لسانه وقدرته على الإقناع كان أهل المنطقة يستشيرونه [1] ويأخذون بنصائحه وتوجيهاته في أمور الدين، ما أكسبه الاحترام وأصبح يطلق عليه "الشيخ" رغم صغر سنه.

عمّت شهرته مناطق"الظهرة" و"حوض الشلف" وجبال "الونشريس" لسيرته الحسنة واعتبره الناس شريفًا من نسل النبي،[2] وأنَّه المخلص في زمن الشّدة وبعد دراسته لأحوال الناس ورصده لأوضاع العدو إضافة إلى الوضع السائد تشكلت عند الشريف محمد بن عبد الله نظرة الجهاد في سبيل الله وأعلن جهاده.[3]

- **الشريف محمد بن عبد الله والصوفية:**

التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد والانفراد عن الخلق في الخلوة.[4]

ولم يبقى التصوف مجرد توجه روحي، بل تجسد على أرض الواقع من خلال الطرق الصوفية التي انتشرت في المجتمع الجزائري، والتي لعبت دورا هاما في الحياة الدينية والثقافية، حيث ظهرت الطرق الصوفية في القرن الثالث هجري وانتشرت في القرن الثامن هجري وكان أكثر هذه الطرق انتشارا في الجزائر الرحمانية، القادرية الشاذلية، الطيبية[5] التي ينتسب إليها الشريف، والذي كان متأثرا بشيوخها وخطاباتهم في توجيههم للناس، والتي اعتمدها في دعوته للجهاد.

---

[6] E.Perret**, Les Français en Afrique** :Récits algériens, édition illustrée de huit portraits, Blood et Barrel, libraires-Éditeurs, Paris, 1887, p392.

[1] Moussa Abdelkader, op, cit, p31.

[2] نعيمة عبد الحميد: المرجع السابق، ص104.

[3] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900**، ج 1،ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص293.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ص611.

[5] صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البرق، بيروت، لبنان، 2002، ص،ص 132،131.

لم يقتصر دور الطرق الصوفية في التّعليم والتّوجيه والمقاومة الثّقافية؛ بل تعدى ذلك ليشمل دعم ومساندة المقاومات الشعبية، وتأييدها، والذي كان أغلب زعمائها من أبناء الزوايا[1] وشيوخها.

ففي سنة 1845 شهدت منطقة الظهرة انتفاضة بقيادة "الشريف محمد بن عبد الله" أطلق عليها انتفاضة الطرق الصوفية التي شاركت فيها كل الطرق (القادرية، الطيبية...).

كما تلقى الشريف خلال مقاومته مؤازرة من قبل "الزاوية المختارية" وشيخها "عبد الرحمان" مقدم "الطريقة الرحمانية".[2]

اعتُبرت الزوايا قاعدةً ومحطةً اعتمد عليها الشريففي نشر دعوته للجهاد، وهذا ما أثار قلق السلطات الفرنسية فكان أول عمل مخصص للطرق الصوفية والخطر المفترض هو دراسة ضباط المكاتب العربية،[3] حيث قدم الضابط دو نوفو "De Neveu" في سنة 1845 تقريرا لأخذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على التَّوسع الفرنسي في الأراضي الإفريقية، وركز فيه على "الطريقة الطيبية" التي اعتبرها الأكثر خطورة في المستدمِرة[4] لعلاقتها مع الملك المغربي والتّقليد الذي تتبناه الطريقة حول "مولاي الطيب" وأحفاده الذين سيحكمون قبائل الجزائر بعد طرد المحتل.

إنَّ ارتباط الشريف بالطرق الصوفية، والزوايا، منحه شرعية روحية فقد كان أنموذجا للثائر المتصوف الذي جمع بين الزهد والقتال، ودعا إلى الجهاد في سبيل الله للعيش بكرامة وحرية.

---

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني: **زواية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862–1962**، ط1، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص229.

[2] محمد الأمين شرويك: **الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنايا المقاومة والمولاة للاستعمار 1830–1954**، أطروحة الدكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2020، ص،ص 86،87.

[3] أنشئت في 1844 وهي عبارة عن إدارات محلية لتسيير الجزائريين لعبت دورا هاما في تسهيل تطبيق السياسة الاستعمارية لفرنسا وجنبت الجيش الفرنسي خسائر. (انظر: بوعزة بوضرساية: **سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830–1930 وانعكاساتها على المغرب العربي**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010، ص25.

[4] Mouloud Haddad, **Les Maîtres de l'Heur Soufismeet eschatologie en Algérie coloniale 1845–1901**, Revue d'histoire du XIXe siécle, Paris, 2010, p-p49-61.

2. حياته في المنفى.

بعد استسلام الشريف محمد بن عبد الله على إثر المواجهات التي جرت بينه وبين القائد "هيربيون" في 13 أفريل1847، تم نقله إلى باريس مع القائد ريتشارد "Richard" رئيس مكتب أورليان فيل "Orléansville" حيث تمَّ إسناد هذه المهمة له من قبل الوزارة.[1]

وصل بومعزة يوم 19 أفريل 1847 إلى الجزائر العاصمة، اظهر له أهل القرى احتراما وتقديرا، وقد شهدت الفترة التي تلت استسلامه تنقلات متتالية، بدأت من الجزائر العاصمة ثم إلى مدينه مرسيليا، لتتواصل لاحقا نحو باريس، حيث وصل إليها على متن السفينة كاميليون يوم 5 ماي، تم نقله منها على متن عربة بريد سانت إتيان، حيث تم حجز له غرفة في شارع فرانسوا الأول بالقرب من شارع الشانزيليزيه "Champs-Élysées" وفي اليوم الموالي زار الشريف وزير الخارجية جيزو "Guizot" الذي أعرب عن رغبته في مقابلته وكان برفقته مترجم.[2]

أثارت شخصية الشريف محمد أقلام العديد من المثقفين والمؤلفين وحتى الصحافة، حيث ألف عنه شاعر البلاط الفرنسي فرانسوا هيبوليت ليموين قصيدة في كتيب يتكون من 28 صفحة جاء فيها «يا من سيفه طاهر كن صديقا للفرنسيين وابنا للقيصر» وطوال فترة إقامته ووجوده في فرنسا تناولت بعض الصحف أخباره، حيث وصفته أحد الصحف «هو رجل يبلغ من العمر 25 عام، على الأكثر طويل، ونحيف، أنيقٌ، رغم معاناته من عدّة إصابات، خاصة ذراعه اليسرى، التي أصبح فيها مفصله متيبسا، إلا أنَّ مظهره يوحي بالحيوية والنشاط، لا شيء في شخصيته يُكذب المغامرات الغير عادية عليه».[3]

[1] Eugène de Martinval, op, cit, p18.
[2] Eugène de Martinval ,op, cit, p-p18-21.
[3] E.Perret, op, cit, p400.

وجاء في الجرائد الأخرى:

1- L'Illustration du 15 mai 1847:

تضمنت صورة للشريف والقائد ريتشارد، لُقب فيها كزعيم ديني استطاع تأثير وتحريك الجماهير.[1]

2- Le Mémorial du Gard du 16 mai 1847:

وصفته بالخصم الذكي الذي أربك القوات الفرنسية بتكتيكاته الغير تقليدية.[2]

3- l'Observateur du 16 mai 1847, Tarbes:

يمثل تهديدا حقيقيا للاستقرار الاستعماري نظرا لقدرته على الجهاد والمقاومة.[3]

4- Le Charivari du février 1846,Paris:

رسم كاريكاتوري، كمحاولة للتَّقليل من شأنه ومن عمله الروحي للتَّأثير على الرأي العام.[4]

تجوَّل بومعزة في أروقة المؤسسات الكبرى بشوارع باريس وزار قاعات البرلمان الأكاديمية، مدارس الفنون والبلاطات الملكية، حيث أُستقبل من طرف الملك لويس فيليب في قلعة نويلي "Neuilly" باحترام كبير، أخبره حينئذ أنَّ فرنسا تعرف كيف تعامل أولئك الذين يظهرون شجاعة في القتال ضدها محاولا استمالته،[5] وخصص له مقرا لإقامته في باريس، ومعاشٍ قدره 15 ألف فرنك فرنسي.

[1] **L'Illustration journal universel**, N220, vol.9, 15 Mai 1847, Paris, p160
[2] **Le Mémorial du Gard**, N112, vol. non précisé, 16 Mai 1847, Nîmes, p5.
[3] **L'Observateur des Pyrénées**, N57, vol. non précisé, 16 Mai 1847, Tarbes, p2.
[4] **Le Charivari**, N15, vol. non précisé, Février 1846, Paris, p,p 3,4.
[5] Mouloud Haddad, op, cit, p-p 49-61.

كان الفندق الذي يعيش به الشريف بومعزة، بالقرب من الأميرة الإيطالية كريستينا تريقولزيو[1] التي نشأت بينهما صداقة عميقة، وقد وجه اليها الاتهام في جوان 1847 بسرقة مخطوط خاص بتنظيم الجزائر إقامةً لريتشارد في شقة بومعزة، ثم تمَّ تبرئتها وظلت هذه الحادثة حديث الصالونات والصحف لفترة.[2]

أعجب الفنانون والمثقفون وحتى كبار الشخصيات بالشريف محمد، فقد كان محط الأنظار منذ وصوله، ففي 13 أفريل 1847 شارك أثناء توزيع الجوائز في المسابقة العامة إلى جانب وزير التعليم العام السيد دي سلفاندي "De salvandy"[3] الذي قام بدعوته وأثنى على شجاعته وقوته.[4]

كما شارك في حفل أقامه "دوق مونيبسي" في قصر "فانسان"، وحضره العديد من الشخصيات البارزة كان من بينهم بومعزة، قاضي قسنطينة والأمير عبد القادر، حيث وصفه الكاتب "فيكتور هيقو" بأنَّه ورغم جمال عينيه إلا أنَّ نظراته توحي بالخبث، يوجد في هذا الرجل شيء من الثعلب والنمر.[5]

في 23 فيفري 1848 عشية الثورة التي أطاحت بالملك "لويس فيليب" تمكن من الفرار لكن الشرطة ألقت القبض عليه متجها نحو "مرسى بريست" الحربي مشيا على الأقدام، ولكنَّه اعتقل وأعيد إلى السجن في قلعة "هام"،[6] كان طول فترة سجنه يقوم بمراسلة عائلته عن طريق لابيسي "la passet" لطمأنتهم عليه، جاء في رسالته لأخيه عمر يصفه بالشاب الذكي والأخ المفضل حيث طلب منه التعاون مع كابتن لابيسي لجمع شمل العائلة ونقلهم إلى تنس تحت حمايته، كما أرسل رسالة لأبيه واصفا إياه بالشَّخص المتدين ويطلب الاعتذار منه عن استسلامه بسبب خيانة العرب، وطلب منه الانتقال مع والدته، وأخيه عبد الله

[1] من مواليد 28 يونيو 1808 في ميلانو عاصمة مملكة نابليون الإيطالية، وتوفيت في نفس المدينة في 5يوليو 1871،كانت كاتبة وصحفية وناشطة سياسية، وشاركت بنشاط في الحركة التي أدت إلى الوحدة الإيطالية. (انظر: حورية جيلالي، المرجع السابق، ص69).

[2] Ali Farid Belkadi, boumaza en France, partagé via one read, consulté le 3 avril 2025 à 12pm.

[3] دي سالفاندي 1790-1856 كاتب وسياسي تولى عدة مناصب مهمة في الفترة الملكية في فرنسا، وفي سنة 1847 تم تعيينه وزير التعليم العام (انظر Narcisse-Achille de Salvandy, Art History Project , consulté le 30 mars 2525 à 8am)

[4] Henri Garrot, **Histoire générale de L'Algérie**, Imprimerie P.crescenzo, Alger,1910, p875.

[5] Victor Hugo, **Choses vues**, Imprimerie Nationale, Paris, 1887, p182.

[6] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص85.

إلى تنس بطلب من الملك، حيث سيوفرلهم منزلا، وأراضي زراعية، كما أرسل رسالة لصهره "مصطفى بن زيان" و"أغا التلي" لأولاد نايل يطلب استضافة عائلته مؤقتا، ويؤكد لهم وعد الملك بإعادته إلى الجزائر بعد استقرار عائلته في مكان واحد، كان الهدف من هذه الرسائل هو حماية عائلته.[1]

بعد أن تولى نابليون الحكم قام بزيارة لقلعة "هام" وهو مسؤول عن الدولة ووقف على أهم ذكرياته الأليمة، والتقى بالشريف أين قام بالعفو عنه ووعده بزيادة في المنحة التي كانت تقدم له.[2]

سافر الشريف إلى "الأستانة" كمتطوع في صفوف الجيش العثماني خلال حروب القرم بين تركيا وروسيا (1854-1856)، وقيل إنَّه تقلد رتبة عقيد؛ نظرا لخبرته الطويلة، ومكانته العسكرية، بقي هناك إلى نهاية الحرب، ثم توجَّه إلى العراق، ونزل ببغداد، حيث مكث هناك مدة ثم ارتحل إلى باطوم التي ظل بها إلى غاية سنة 1878 ليتوجه بعدها إلى دمشق،[3] حتى 1878 توجه إلى دمشق حيث التحق بالأمير عبد القادر مدة من الزمن، ثم توجه إلى شمال إفريقيا مرة أخرى في محاولةٍ لتجديد الثورة وإحيائها، ولكن لم يوفق فعاد إلى باطوم وبقي هناك حتى توفي في دبروجة، بمرض الكوليرا 1889.[4]

[1] La Passet, **L' armée de metz**, Armand Guggenheim, éditeur, Paris ,1899, p-p 96-98.

[2] كمال بن صحراوي: **معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر**، ط1، دار النشر ألفا دوك، قسنطينة، 2020، ص61.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج5، دار الأمة، الجزائر، 1962، ص،ص60،59.

[4] محمد الأمير: المصدر السابق، ص،ص314،313.

المبحث الثالث: دوافع و حيثيات المقاومة و نتائجها.

1. أسباب المقاومة:

قرّر بومعزة، بعدما تأكد من انتشار صيته بين القبائل، إعلان الجهاد ابتداء من سنة 1845،[1] و ذلك استنادا لعدة أسباب، نذكر منها:

أ. الحملات العسكرية تجاه المناطق الداخلية لإخضاع الأعراش:

بدأت فرنسا في تطبيق سياسة الاحتلال الشامل في الجزائر، وكان الماريشال سولت، رئيس الحكومة الفرنسية منذ عام 1840، هو صاحب هذه السياسة، وقد وقع اختياره على الجنرال "بيجو[2]" لتنفيذها[3] لدمويته.[4] ارتكزت سياسة بيجو على إخضاع الشعب الجزائري، وقد تبنى أسلوب التّرهيب المتمثل في حرق الحقول، واختطاف قطعان الأغنام، التي كانت بمثابة رأس مال القبائل، بالإضافة إلى إحراق القرى بمن فيها ومعاقبة كل من تربطه صلة بالأمير عبد القادر، كما عمد بيجو إلى مصادرة أراضي جميع القبائل التي شاركت في المقاومة، وتوزيعها على جنوده، والمستوطنين الفرنسيين الذين تدفقوا على الجزائر، وذلك

---

[1] حباش فاطمة: **انتفاضة سكان الظهرة (1845-1847)**، المجلة الخلدونية، مجلد7، ع1، جامعة تيارت، الجزائر،1 ديسمبر 2014، ص104.

[2] في عام 1841، وبعد تسلمه منصب الحاكم العام، انتهج الجنرال بيجو سياسة قمع وعنف شاملة بهدف إقصاء المقاومة الجزائرية. ارتكزت هذه السياسة، التي استهدفت القبائل الجزائرية، على نمطين أساسيين. أولًا: النمط المدني، تجلى ذلك في تشجيع الاستيطان الأوروبي عبر مصادرة الأراضي الجزائرية تحت مسميات قانونية متنوعة وتوزيعها على المستوطنين، الذين كان أغلبهم من العسكريين. شجع بيجو الجنود على الاستثمار والعمل الزراعي في أوقات السلم. كما سعى إلى طمس هوية المجتمع الجزائري وتطبيق سياسة الاندماج من خلال استمالة الزعامات المحلية وضرب أسس المجتمع وهويته الإسلامية عبر التدخل في شؤون القضاء والتعليم الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك، عمل على توسيع نفوذ نظام المكاتب العربية وجعله نظامًا رسميًا مسؤولًا عن شؤون الجزائريين .ثانيًا: النمط العسكري: استهدف هذا النمط الأمير عبد القادر في معاقله الحضرية، كما اعتمد إستراتيجية عسكرية تقوم على تشكيل وحدات عسكرية خفيفة وسريعة الحركة لملاحقة الأمير. (انظر أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**، المرجع السابق، ص،ص 216،217).

[3] H. Dideville, **Le Maréchal Bugeaud 1784-1849**, librairie de Firmin didot et cie, imprimeurs de l'institut, rue, Jacob, 56, Paris, 1882, p59.

[4] Le Cte D'ldeville, **Le Maréchal Bugeaud d'après ses correspondances intime et des documents inédits 1784-1849**, T3, Librairie de Firmin- Didot et Cie, Paris, 1882, p254.

لزراعتها لصالحهم ولصالح فرنسا،[1] منها حملته على منطقة الشلف؛ حيث ترتّب عنها ظلمٌ وتعسفٌ في حق السكان، أين تعرضوا للتقتيل الجماعي والتشريد، وكذا العقوبات الجماعية من مصادرة للأراضي والمواشي[2] حيث تعرضت قبيلة صبيح إلى الحرق من طرف السفاح كافينياك[3] عام 1844، حيث كانت هذه السياسة الإرهابية تندرج ضمن سياسة الأرض المحروقة التي جاءبها الجنرال بيجو، الرامية إلى إخضاع الشعب الجزائري بالقوة.[4]

ب. سياسة الاستيطان التي تبناها بيجو:

رأى بيجو أنّه من الضروري، إقامة مراكز عسكرية، كخطوط دفاع لإحكام السيطرة العسكرية وتقويض مقاومة الأمير عبد القادر،[5] نتيجة لذلك، طال هذا الإجراء منطقة الظهرة أيضًا، حيث تقرر إنشاء مركز عسكري في "أورليان فيل" في شهر أفريل سنة 1843، وذلك لموقعه المتوسط بين مدن وهران ومستغانم

[1] رأفت الشيخ: **تاريخ العرب المعاصر**، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، 1996، ص134.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، المرجع السابق، ص291.

[3] هو الابن الثاني والأخير من جان بابتيست كافينياك، عُين الحاكم العام للجزائر من قبل الحكومة المؤقتة الفرنسية خلفا للدوق دومال ابن لويس فيليب. (انظر: جمال حريشة، علي طالبي: **الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية –بعثة لويس أوجين كافينياك 1847–1848 أنموذجا**، مجلة الساورة، م9، ع2، جامعة بشار، 2023، ص،ص 11،12.

[4] لجأ العقيد كافينياك بعد عجزه عن إخضاع المنطقة عسكريًا إلى فعل شنيع، ساق المستضعفين من نساء وأطفال وشيوخ ليحتموا بمغارات صبيح، حيث ارتكب في حقهم وفي صمت تام أول محرقة في المنطقة سنة 1844،لم تذكرها لا الكتابات التاريخية ولا الشهادات العسكرية، وإنما أشير إليها ضمنيا وفي سياق آخر في كتاب الدكتور قانسوي، وكذا لويس دو شاربونيار الذي أورد قولا لبيجو بشأنها، حيث قال وهو يخاطب العقيد بليسيه بشأن مغارة الفراشيش: «أحرقوهم كما فعل كافينياك في صبيح»، وأورد الجنرال ديروكاجي أيضا نص رسالة بعث بها بيجو إلى بيليسي بتاريخ 11 جوان 1845، ومما جاء فيها: «إذا لجأ هؤلاء الأوغاد إلى مغاراتهم، تصرف كما تصرف كافينياك في صبيح، اقتلهم جميعا مثل الثعالب» (انظر: العربي بلعزوز: **التوغل الاستعماري في منطقة حوض الشلف الأوسط و موقف سكان المنطقة منه 1842–1846**، مجلة عصور جديدة، العدد 24،25، جامعة وهران، 2016، ص287).

[5] العربي بلعزوز، المرجع السابق، ص 279.

والجزائر[1] وذلك كمرحلة أولى للتمكن من بلوغ الهدف الآخر، والمتمثل في استغلال المنطقة اقتصاديا وبشريا عبر الاستيطان، وذلك لتوفرها على مقومات فلاحية متنوعة.[2]

تزامن هذا التوجه الاستدماري في المنطقة، مع استيلاء قوات الاحتلال على زمالة الأمير عبد القادر بتاريخ 16 ماي 1843،[3] حيث قام الدوق دومال بمفاجئة الزمالة التي كان أغلب سكانها من النساء والأطفال، وتذكر التقارير أنَّ عدد شهداء هذه الواقعة بلغ 300 شهيدا أخذوا غدرا، كما تمَّ أسر حوالي 3000 جزائري آخرين، و نهب كل ما كانت تحويه منازلهم من عتاد وعُدّة.[4]

ت. إحداث نظام المكاتب العربية:

واجه الفرنسيون صعوبات كبيرة في التوسع وبسط السيطرة على الجزائر؛ وذلك بسبب امتناع أبناء الجزائر التّعاون معهم،[5] لذلك فقد طُرحت على السلطات الاستدمارية مشكلة إدارة الأهالي وكيفية التّحكم فيهم، لذلك قرر روفيقو "Rovigo" إنشاء هيئة تكُون جسرًا بين سكان فرنسا والجزائر سميت بالديوان العربي،[6] كما أطلق عليهم مصلحة الشؤون العربية، وكان هدفها إخضاع القبائل الجزائرية للنفوذ الفرنسي بالجزائر،[7] بالاعتماد على مترجمين في الشؤون العربية، والاتصال برؤساء القبائل في جميع أنحاء البلاد،[8] والحقيقة

---

[1] شارل أندري جوليان: **تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار (1827–1871)**، تر: فاطمي جمال وآخرون، ط1، مجلد1، دار الثقافة، الجزائر، 2008، ص338.

[2] العربي بلعزوز: المرجع السابق، ص279.

[3] العربي بلعزوز: المرجع السابق، ص279.

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، المرجع السابق، ص267.

[5] أبو بكر الصديق حميدي: **السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر 1830– 1848**، مجلة البحوث التاريخية، ع11، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017، ص08.

[6] صالح بن النبيلي فركوس: **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844–1871)**، وزارة الثقافة، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2013، ص12.

[7] أبو بكر الصديق حميدي: المرجع السابق، ص13.

[8] عبد القادر سلماني: **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية 1832– 1847**، دار القبضة للنشر، الجزائر، 2012، ص217

أنّ تلك الإدارة، وهذه الهيئة، لم تكن لتهتم بشؤون الأهالي بقدر ما كانت تعمل على إخضاعهم، وبسط نفوذ فرنسا على كامل أنحاء القطر الجزائري، و كان أول من ترأسها "لاموريسو" في شهر أفريل 1837.[1]

بعد مجيء الجنرال الفرنسي بيجو، حدثت تطورات جديدة في مسألة الإدارة، بعد رغبته في بسط نفوذ الاحتلال على كامل القطر الجزائري، لذلك تمَّت إعادة تأسيس إدارة الشؤون العربية بتاريخ 16 أوت 1841م بإيحاء من الجنرال "دوماس"،[2] تحت مبدأ سياسة بيجو ضدّ الأهالي لحكم العرب، أين أكد على مبدأ حكم العرب بالعرب، من خلال الاستعانة بالزعامات الأهلية، وتدجينها، وجعلها تحت خدمة السلطة الاستدمارية، تحمل ألقابا خلفاء، قياد، آغوات، تحت إمرة المكتب العربي، مهمتها التّجسس ومراقبة تحركات القبائل وضمان الأمن والسلم.[3] لأجل ذلك نشأت المكاتب العربية[4] بمقتضى مرسوم وزاري مؤرخ في 1 فيفري 1844.[5]

غير أنَّ سوء هذه الإدارة؛ بسبب تعسّف وغطرسة عناصرها سواء الفرنسيين، أو الجزائريين، وتجاوزاتهم في فرض الضرائب، ما ولّد الحقد والرغبة في الانتقام، وخير نموذج لذلك؛ ضابط مكتب العربي أورليان فيل ريشارد الذي كان يتقن اللغة العربية، ما سمح له بالتَّعرف أكثر على العادات، والطبائع؛ حيث وصفهم بأقبح الصفات، منها مثلا أنَّ الرجل العربي كذاب، وأفضل أسلوب في رأيه لمعاملته بعدل، هو تأديبه بالعصا، وعدم التَّأخر في معاقبته.[6]

---

[1] أبو بكر الصديق حميدي: المرجع السابق، ص13.

[2] F. Hugonnet, **Français et Arabes en Algérie**, Lamoricière, Paris, 1860, p181.

[3] فاطمة حباش: المرجع السابق، ص105.

[4] يعرفها فرديناند هيقونيت، أحد رؤساء تلك المكاتب كما يلي: «المكتب العربي هو حلقة وصل ما بين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830، والجنس العربي الذي يقطن البلد من قبل ولا يزال إلى الآن» (انظر: نور الدين صابر: **المكاتب العربية و السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر إقليم قسنطينة أنموذجا**، مجلة طبنة، مجلد6، ع1، جامعة الجزائر، 2023، ص1053).

[5] F. Hugonnet, op, cit, p181.

[6] فاطمة حباش: المرجع السابق، ص105.

2.مراحل المقاومة ونتائجها:

أ. المراحل:

يقول بيجو: «ألد الأعداء الذين واجهناهم في إفريقيا بعد الأمير هو الشريف محمد بن عبد الله الذي اشتهر بين الفرنسيين ربما أكثر من العرب باسم بومعزة».[1]

انظم الشريف محمد لصفوف الجيش النظامي لجيش الأمير عبد القادر، في سنّ مبكرة، الذي دخل لمنطقة الشلف بعد ازدياد الخناق على الأهالي، فقام الحاج هنّي بتقديمه للأمير عبد القادر الذي بارك انضمامه كون الشريف عارفًا للمنطقة، وكاشفًا لأسرارها.[2]

نظرا للأوضاع التي كانت تسود المنطقة غادر الشريف منزل سيدته وولية نعمته، قطع وادي عبدي متجها إلى السواحلية، قبيلة أولاد يونس، حيث نزل عند الحاج حامد اليونسي، الذي أقام له حفلةً عرف بها كبار القبائل، الذين دعاهم للجهاد ضد العدو، وامتدت دعايته في كل إقليم الظهرة،[3] وبعد انضمام العديد من القبائل له بدأ بالتَّحضير للجهاد.

- **مرحلة التحضير (مارس1845):**

تأثر الشريف محمد خلال احتكاكه بالأمير عبد القادر بأسلوبه العسكري، حيث قام في بدايته العسكرية بالهجوم المباشر، ثم سلك طريقة الكرّ والفرّ (حرب العصابات) بمهاجمة العدو لخلق عدم

[1] H.d'ideville, op, cit , p102.

[2] ازدهار بوشاقور: **الشريف محمد بن عبد الله الملقب ببومعزة**، https://www.jana.ps، تم الاطلاع عليه بتاريخ 6 مارس2025، على الساعة 12:30 ظهرا.

[3] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص80.

الاستقرار، بالظهور والاختفاء، حيث كان كلّما طارده العدو في منطقة، يظهر في منطقة أخرى، ما جعل الوحدات الفرنسية في حالة تأهب دائمة.[1]

ساهمت التّضاريس والجبال بإنجاح هذه العمليات، وسمحت له بالتّحرك بسرية، ولحشد وتعبئة القبائل والسكان للجهاد كان يستعمل الخطاب الديني لتحفيزهم لطرد العدو، وقام بتشكيل جيش منظم فيه أعوان إداريون (خواجة، خزناجي وشاوش) وجيش (عساكر، خيالة مع أجور) وجنّد رجالاً بارعين وأقوياء،[2] واتخذ لنفسه كاتبًا يُدعى"سي صادق"، كما تلقى من السكان المساعدات، والدعم؛ حيث قدموا له الأسلحة والذخائر والبغال، والأحمرة كوسيلة للتّنقل، إضافةً إلى الأموال، وصنعوا له رايةً للجهاد من حرير، وأعطاه أحدهم حصانًا ليركبه، وفي ظلِّ هذه التَّحضيرات، اضطر الماريشال بيجو إلى تجنيد عدد كبير من القوات لمحاربته بقيادة: الجنرال بورجوليلي، الجنرال ريفيو، الكولونيل سانت أرنو، الكولونيل لاد ميروات والكولونيل بيليسي.[3]

وبعد الاستعداد عند أولاد يونس، شرع في القضاء على القبائل والأعوان الموالين لفرنسا، فتوجه نحو قبيلة سنجانة وهزمها بفضل مساندة أولاد الرياح، واستطاع استمالتها وإعادتها لمناصرته، وهذا بعدما أخذ الإذن من الأمير الذي ولاه على منطقة قبائل الوسط الغربي، وجعله ساعده الأيمن هناك،[4] خرج الشريف محمد قرب سيدي عيسى بن داوود على حدود منطقتي الأصنام ومستغانم حيث شن غارة ليلية ضد القائد الحاج الصادق وقتله في شهر أفريل 1845، ثم توجه نحو عرش الصبيح وقتل القائد الحاج بلقاسم كما تعرض لآغا

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)**، المرجع السابق، ص292.

[2] محفوظ قداش: **جزائر الجزائريين(1830-1954)**، تر: محمد المعراجي، منشوراتANEP، الجزائر، 2008، ص109.

[3] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص05.

[4] **ازدهار شاقور**: المرجع السابق.

الونشريس أحمد الشاوش الذي حاول اعتراضه في طريقه، فقتله قرب "مازونة "في 16 جويلية 1845، وفي نفس الليلة قضى على آغا الصبيحات محمد بن عبد الله المكلف بجمع الضرائب.[1]

- **مرحلة الانطلاق والتوسع (1845-1847):**

لم تقتصر استراتيجية الشريف بومعزة على أسلوب العصابات والهجمات المفاجئة فقط؛ بل لجأ أيضا إلى المواجهة المباشرة في المعارك مع القوات الفرنسية حيث خاض عدة معارك:

- **معركة سهل القرى (14 أفريل 1845):**

كانت في جبال الظهرة ضد العقيد سانت آرنو،[2]وتعتبر أول مواجهة بين الطرفين؛ حيث توجه الشريف نحو عرش الصبيحات بالشلف، وبمجرد معرفة سانت آرنو بالأمر، توجه من الأصنام نحوه بعدما تمكن من تحديد موقعه عن طريق أحد جنود قائد الصبيحات، توقفت القوات الفرنسية في وادي الرأس في حين الشريف محمد استقر في "كرونانسة" إحدى فروع قبيلة الصبيحات المقابلة لسهل القرى، أين جرت المعركة في عين مران، في14 أفريل 1845، خسر فيها بومعزة حوالي 60 رجلا، وأعدِم 15 رجلا بهدف تخويف السكان.[3]

بعد هذه المعركة انسحب الشريف إلى منطقة مازونة، حيث رحبوا به بحفاوة، وانظم لصفوفه حوالي 300 رجل، لتتبعه القوات الفرنسية إلى هناك مع قائدها سانت آرنو، وعسكرت في مازونة

[1] حباش فاطمة: **انتفاضة سكان الظهرة (1845-1847)**، المجلة الخلدونية، مجلد7، ع1، جامعة تيارت، الجزائر، 2014، ص-ص 102-110.

[2] السفاح القديس آرنو، جندي ومارشال فرنسا ولد سنة 1798. اشتهر بدوره الكبير في الحملة الفرنسية على الجزائر، تولى منصب وزير الحرب عام 1851. توفي سنة 1854. (انظر:

N. Faucon, **Le Livre d'Or de l'Algérie**, Challamel et Cie Éditeurs, Paris,1889,p,p541,542.

[3] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص81.

في 15 أفريل 1845 ثم إلى سيدي عيسى بن داود يوم 17 أفريل 1845، إضافةً لقوات أخرى قدمت من تنس وحاول رئيس المكتب العربي الفرنسي أن يعترضهم فقتلوه.[1]

- **معركة حوض الشلف (18 أفريل 1845):**

تجددت المعركة بين الطرفين ففي 18 أفريل1845 خاض الشريف محمد معركة في ضواحي منطقة بعل فبعد حشد قبائل أولاد عبد الله فرع أولاد بوهاني ودعمه ب 400 رجل بقيادة محمد بن هاني والذين بدورهم دعوا الناس لحمل السلاح، انظم إليه أولاد يونس وحاصروا فرقتين فرنسيتين، شارك في هذه المعركة القائد كانروبير على رأس قوات شلف يبلغ عددها 370 شخص، أما قوات الشريف فبلغت 2000 شخصٍ، وبعد يومين من المواجهة، تفوق بومعزة وانتهت المعركة لصالحه، وتمكن كانروبير من النجاة بصعوبة.[2]

استغل الشريف محمد الوضع وراسله سكان أولاد حجا شرق التنس وسكان منطقة جبال الظهرة، واشتركوا في مهاجمة معسكر المضايق بحوالي 500 رجل، كما جددوا الهجوم في 23 أفريل 1845 على مدينة تنس، وقتلوا خلالها ضابط الهندسة الحربية، شارك في المعركة مجموعة من القرى بلغ عددها 22 قرية، وحملوا السلاح من بعل لتنس، على رأسهم قريتي بني حجا وبني حوه، وامتدت إلى أغوية حتى أحواز مدينة الجزائر.[3] وفي 23 أفريل 1845، هاجم الثوار بقيادة الشريف قافلة فرنسية متجهة من تنس إلى الأصنام في واد علال، اضطر سانت آرنو أن يبلغ الجنرال بيجو بخطورة الوضع، ومحاصرت 22 قرية جبلية، واستمرت

[1] صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة (1830-1962)**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2012، ص196.

[2] حورية جيلالي: المرجع السابق، ص60.

[3] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، وهران، الجزائر، 1993، ص195.

المعارك فخرج بيجو بنفسه إلى جبال الظهرة، وشارك في مواجهة الثورة من 9 ماي إلى 12 جوان 1845[1] ليبدأ في تطبيق سياسته الجهنمية القائمة على الحرق والإبادة في حقّ القبائل التي رفضت الخضوع والاستسلام.

كلف بيجو بيليسي[2] وسانت آرنو بمطاردة المقاومين، فدخل بيليسي للظهرة وخرب منطقة أولاد رياح وأضرم النيران في مغاراته، ورغم الإبادة التي تعرض لها السكان إلا أن الشريف بقي مواصلا الجهاد واستقر في الونشريس.[3] وفي 21 ماي 1845 توجه سانت آرنو إلى معسكر بومعزة لمواجهة قواته التي بلغت 1200 من المشاة و200 فارس، حيث قام بمعاقبة القبائل، وسلبها أسلحتها قبل وصول بومعزة، وقتل 200 رجل إلى جانب عدد من النساء والأطفال والماشية، وفي 31 ماي واجهه بومعزة وهزمه في تنس.[4] تنقل بومعزة من 1845 إلى 1847 على طول ساحل الوسط الغربي امتدادا للصحراء رغم الخسائر التي كانت تعترضه مواصلا مقاومته.

ففي أوائل نوفمبر 1845 اتجه إلى تنس وهاجم في طريقه أعوان الجيش الفرنسي وأقام لدى بني مدوم ثمّ توجه إلى الأصنام، وفي أوائل جانفي 1846، خاض معركة ضد القوات الفرنسية في وادي سيدي سالم فقتل له 150 رجل، وانتقل لحوض سيدي إبراهيم، أين فقد عددا من الأمتعة، والأسلحة بعد المناوشات.[5] ليستأنف بومعزة هجوماته بعد الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر في سبتمبر 1846، فتوجه إلى مستغانم ثم ناحية تيارت، وبعدما أقام الأمير في الونشريس، أرسل بيجو محاربين للأمير وبومعزة وبن سالم، ففر الأمير إلى المغرب حيث لحقه بومعزة في 15 مارس 1846 مرغم إصابته برصاصة في إحدى

[1] صالح بن النبيلي فركوس: المرجع السابق، ص196.

[2] عسكري فرنسي برتبة مارشال ودوق مالاكوف ولد عام1794، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر عام1830 كان المشرف على تنفيذ محرقة الظهرة سنة1845، عين حاكما عاما على الجزائر من 23 نوفمبر 1860 إلى غاية وفاته يوم 22 ماي 1864 (انظر، كمال بن صحراوي: المرجع السابق، ص67).

[3] محفوظ قداش: المرجع السابق، ص،ص 109،110.

[4] حورية جيلالي: المرجع السابق، ص62.

[5] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السابق، ص198.

المعارك، ليتنقل إلى أولاد الشيخ ثم بعدها إلى المغرب.[1] لكن نظرا لاختلاف وجهات النظر غادر الشريف نحو فليته للجهاد، ناصره زعيمها ابن جلول، حيث جند له الرجال، فانتشرت الثورة في منطقة الظهرة كلها، وجبال ديرة بمنطقة سور الغزلان لتمتد أكثر إلى أولاد نايل وأولاد جلال.[2]

- **مرحلة التراجع والانهيار 1847:**

توجه الشريف محمد من منطقة الظهرة إلى جبال أولاد نايل في 1847، واستقر بالقرب من أولاد جلال، وهناك أقام علاقة مع السكان، ولجأ إلى التعبئة الدينية في البداية، كونه لا يمتلك الكثير من الأنصار ولكنّه تمكن من التأثير عليهم.[3]

انتشرت الدعوة بسرعة ووصلت للزيبان، فأبلغ القائد سانت جيرمان من دائرة بسكرة الجنرال بيدو[4] قائد مقاطعة قسنطينة الذي قام بإرسال هيربيون[5] لمعاقبة هذه القبائل.

تمّ إرسال قائد من بسكرة برفقة "قومي[6]" لتأمين المنطقة وبمجرد معرفة تواجد الشريف محمد في جنوب الإقليم أمر هيربيون بتكثيف المراقبة خاصة على الطريق المؤدية إلى واحة الزاب، وكان سيدي مختار بن عبد

---

[1] محفوظ قداش:**جزائر الجزائريين(1830-1954)**، المرجع السابق، ص،ص112،111.

[2] صالح بن النيبلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة (1830-1962)**، المرجع السابق، ص،ص 197،196.

[3] Emile Gerbillon**, Quelques pages D'un vieux cahier Souvenirs Du général Gerbillon (1794-1866)**, Emile Paul frères, Paris, 1928, p92.

[4] الجنرال بيدو: واحد من رجال بيجو، ظل بالجزائر 10سنوات من 1837 إلى1847، نال عدة رتب مقدم ثم عقيد ثم جنرال عام 1841، عين حاكما عاما على الجزائر في 1847، وفي سنة 1848 أصبح وزيرا للخارجية. (انظر، كمال بن صحراوي: **معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص64).

[5] ضابط وعسكري فرنسي ولد عام 1794 تولى قيادة الناحية الشرقية اشتغل تحت بيجو ولاموريسير والدوق دومال وهو صاحب المجازر بواحة الزعاطشة والأمر بقطع راسي الشيخ بوزيان وابنه ورأس الحاج موسى الأغواطي، توفي سنة 1866. (انظر، كمال بن صحراوي:**معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص180).

[6] مأخوذة من كلمة القوم بمعناه الجماعة، وهم وحدات قتالية من شيوخ وأفراد القبائل المحليين الموالين لفرنسا، شكلتها الإدارة الفرنسية بهدف قمع المقاومة، وفرض سيطرتها في المناطق التي يصعب التحكم فيها.

الرحمان قد حرك هذه الواحة. ولمنع انتشار التمرد[1] انطلق الجنرال هيربيون في 5 جانفي 1847 من باتنة على رأس ألف رجل من فوجي الخط الأول والثالث، وبعد أن ترك بسكرة، سار مباشرة نحو القوطة عبر طولقة إلى أولاد جلال حيث كان متواجدا على بعد 80 كلم، وكان بومعزة قد انسحب نحو وادي واد نايل مع أولاد ساسي[2]، الذين استقبلوه، ودعموه،وحسب ما تمّ ذكره في تقرير ضباط المكاتب العربية أنَّ بومعزة قد كان محل مراقبة شديدة ومتابعة كبيرة لتحركاته، التي أدت إلى إثارة الكثير من القبائل ضدنا، كما جاء في التقرير، حيث قامت السلطات الاستعمارية بشن حملات متتالية على قبيلة أولاد نايل؛ ما بين سنتي 1846-1847[3]، أين كان يتمركز بومعزة.

وجاء في تقرير المكاتب العربية بدائرة سطيف[4] أنَّ بومعزة ظهر برفقة حوالي 30 فارسا عند قبيلة أولاد نايل، وبحسب تقرير شيوخ بوسعادة وبن كابوية من مسيلة، فإنَّ بومعزة قد قام بتصفية أربعة أشخاص بجبال شارف، يبدو أنّهم كانوا متعاونين مع المحتل، ثم انتقل إلى أولاد ساسي (أولاد نايل الشراقة) من أجل محاربة أولاد سالمية وبعض القبائل البدوية الأخرى المتمركزة في أولاد جدي، حيث كان الشريف بومعزة يحارب المحتل كما يحارب الخونة، ويضيف التقرير أنّه في الوقت نفسه ظهر مولاي محمد برفقة 35 فارسًا، دون الإشارة إلى أي علاقة بين بومعزة، ومولاي محمد، ولكن يبدو أنَّ علاقة هؤلاء المجاهدين ببعضهم بعض، علاقةُ جهاد ضد الرومي المحتل، وإزاء خطورة الوضع على الفرنسيين وجه الحاكم العام الفرنسي قوات كبيرة إلى مناطق

Frémeaux, J. Les premières troupes supplétives en Algérie. Revue historiqu des armées, n° انظر) 255, 2009, p-p 61-67.

[1] Emile Herbillon, op, cit, p93.

[2] siroka , op, cit, p442.

[3] A,H,O,M,F80,494,Cercle de Batna, de Constantine, de Sétif, rapport de la 1er quinzaine de janvier 1847.

نقلا عن صالح فركوس بن النبيلي: **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد(1844–1871)**، وزارة الثقافة، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2013، ص56.

[4] الوثيقة أفادنا بها الدكتور صالح فركوس وهو تقرير ينشر لأول مرة. (انظر الملحق رقم 07 ص107-109).

الحوادث بقيادة ماري مونج "Marey Monge"[1] وخاض الثوار ضدهما معارك كثيرة، في جهات وادي مينا بحوض الشلف خلال شهري جانفي وفيفري 1847. وبعد عجز بومعزة عن مواجهة العدو لتفوقه عليه في العدد انسحب لجبال الظهرة.[2]

- **معركة الونشريس مارس 1847**:

في أوائل مارس1847 في منطقة ثنية الحد قلب الونشريس واجه بومعزة قوات مونج وهيربيون في معركة كبيرة انتهت بانهزام بومعزة، واعتقاله بسبب وشاية بعض الناس به، وتم تسليمه أسيرا للضابط الفرنسي سانت آرنو،[3] وكان يعاني بشدة من إصابته، كما أصبح ضعيفا لدرجة أنَّه نزل من أولاد يونس، وكان مستلقيا تقريبا على ظهر البغل الذي كان يحمله، تم تطويقه في 3 أفريل 1847 في وادي أو خليل بالقرب من مدينة سيدي محمد بن علي الحالية.[4]

نقل الشريف محمد إلى الجزائر العاصمة وأحيل على المحكمة العسكرية، فكان موقفه رهيبا؛ إذ جرى بينه وبين رئيس المحكمة حوار من بين ما جاء فيه:

-من أنت؟

- أنا بومعزة.

-لماذا قاتلت فرنسا؟

-لكونها دولة طاغية معتدية علينا.

[1] جنرال فرنسي ولد في 1796 شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر و كان ضابط المدفعية،قاد أول حملة استكشافية إلى الأغواط في 1844. تولى منصب حاكم عام في 1848 توفي سنة 1863. (انظر: عيسى بوقرين: **الهولوكوست الفرنسي في الأغواط 04 ديسمبر 1852**، مجلة قضايا تاريخية، م5، ع1، جامعة الأغواط، 2020، ص 92).

[2] يحي بوعزيز: **المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص09.

[3] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص84.

[4] Moussa Abdelkader, op, cit, p105.

-ماذا لو أطلقنا سراحك ماذا تفعل .....؟

- أعود للجهاد في سبيل الله.

بعد هذه المحاكمة أرسل لسجون فرنسا.[1]

ب. نتائج مقاومة الشريف بومعزة:

تمكن الشريف محمد بن عبد الله من إفشال المخططات الفرنسية، وإلحاق أضرار جسيمة بالجيش الفرنسي، وهذا بفضل مساندة، ودعم القبائل، والسكان، التي استخدم بيجو ضدها أقصى الوسائل لإخضاعها. وللقضاء على زحف المقاومة، تمَّ إنهاكها بالضرائب، وتعرضت ممتلكاتها للإتلاف، وهلك المئات خنقا بالدخان[2]من طرف بيليسي، كافينياك، وسانت آرنو، وغيرهم من السفاحين الذين اعتمدوا سياسة الأراضي المحروقة في سلسلة الإبادة الممنهجة في الجزائر كرد فعل قمعي.[3]

- **محرقة أولاد رياح "الفراشيش، الظهرة" (من 18 إلى20 جوان 1845):**

ارتكبت ضد أولاد رياح جريمة إنسانية، كانت مبرمجة ضدها بسبب مشاركتهم إلى جانب الشريف محمد بومعزة في جانفي1845 في معركة بناحية الظهرة، التي شاركت فيها كل الطرق الصوفية، والتي تعرف بانتفاضة الطرق الصوفية لدي الفرنسيين.[4]

[1] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص،ص58،59.

[2] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص353.

[3] جوزيف لاكوست وآخران: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص283.

[4] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، المرجع السابق، ص228.

توجه بيليسي في 11 جوان 1845 مع جيشه نحو منطقة الظهرة، بعد تلقيها لأمر من الحاكم العام بيجو موجها له رسالة يقول فيها:«إذ التجأ هؤلاء قطاع الطرق إلى مغاراتهم فافعل معهم مثل ما فعل كافينياك بقبيلة الصبيح، شدد في تدخينهم حتى يموتوا كالثعلب».[1]

وقام بتطبيق سياسة الأراضي المحروقة، وقطع الأشجار، وحرق المنازل، ما أدى إلى فرار هذه القبائل نحو غار محصن نوعا ما يسمى ب"غار فراشيش"،[2] له مدخلين؛ الرئيسي في الجنوب الغربي من الجبل، والثانوي من جهة الجنوب الشرقي، احتمى فيه أكثر من 1000 شخص من القبيلة رجال، نساء، أطفال وحيوانات. ففي يوم 17جوان،[3] ركض سكان القبيلة نحو الغار، وكان الكثير منهم راكبين على أحمرة محملة بالأمتعة والإمدادات الغذائية، ركض الأطفال حفاةً، والأطفال الرضع على ظهور أمهاتهم، وحمل الرجال الأسلحة للدفاع عن أنفسهم كانوا يلهثون، سالكين المسار المتعرج، صعودا، ونزولا عبر التَّضاريس غير المستوية والصعبة.[4]

سار بيليسي خلف هذه القبائل التي رفضت الخضوع والتنازل عن حريتها وأرضها، وعندما عجز عن إقناعها بالاستسلام، انتقل من قوة السلاح إلى قوة الطبيعة،[5] هذا ما ذكره بيليسي في رسالته التي أخبر فيها بأنَّه عندما لم يتحصل على استسلام أولاد رياح؛ قرر حرقهم بعدما قام قبلها بإرسال مفاوض لهم، الذي تمّ الرد عليه بإطلاق النار، فنفذ صبره حيث لم يرد البقاء طويلا في ذلك المكان،[6] فحاصر المغارة من كل الجهات وجلب أكوام الحطب وأحاط به الغار وأشعل مداخلها لإجبار القبيلة على الخروج بالاستسلام

[1] محمد عيساوي، نبيل شريخي: **الجرائم الفرنسية في أثناء الحكم العسكري 1830–1871**، مؤسسة شطيبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص184.

[2] يقع بجبال الظهرة بلدية النكمرية شرق ولاية مستغانم حاليا يمتد على طول 200م (انظر الملحق رقم 08 ص 113)

[3] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، المرجع السابق، ص228.

[4] Moussa Abdelkader :op,cit,p75.

[5] هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في غرب شمال افريقيا**، تر وتق: أبو العيد داوود ،ط1 ،ج1 ،دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2008، ص242.

[6] محفوظ قداش: المرجع السابق، ص،ص117،116.

أو الموت خنقا بالدخان.[1] استمر يغذي تلك النار ليلة كاملة لدرجة أنَّ أحد الجنود استطاع أن يقتفي أثر القائد العام دون أن يُظّل الطريق لأنّه كان يسير على ضوء الحرائق، هذا ما أدى إلى سهولة الرؤيا ليلا في منعرجات الجبال،[2] تصاعدت أصوات الحيوانات، صراخ النساء، والرجال والأطفال، وكان يتردد في الفضاء، طقطقة الصخور المحترقة ورصاصات البنادق واشتباكات الرجال، والبهائم، متنازعين عن شيء من الهواء الطلق.

لم يتمكن من الخروج من هذه المحرقة إلا 60 شخصا كانوا أقرب من الموت للحياة، مات منهم 40 بعد أيام، ونقل إلى المستشفى 10، في حين استطاع البقية النجاة من الخطر[3]، من أصل 1000 شخص الذين حاصرتهم النيران، والدخان لمدة يومين، كانت المشاهد في الصباح الموالي في منتهى الفظاعة، الأرض والجدران مسودة من النيران، تحتضن الجثث المحترقة للرجال، والنساء، والأطفال، التي تحولت إلى رماد، واحتفظت ملامحهم بمظاهر الرعب والفزع والآلام.[4]

شغلت هذه المجازر الشنيعة الرأي العام الدولي حيث تناولتها الصحف الفرنسية والدولية في وقتها، وتناولها الكتاب والأدباء نظرا لبشاعة الحدث، كما أثارت ضجة في البرلمان الفرنسي، حيث تمّ التكتم عن التقرير الذي كتبه بيليسي حول هذه الجريمة، وأرسله إلى بيجو من قبل وزير الحربية الفرنسي حتى تهدأ الأوضاع.[5]

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، المرجع السابق، ص228.

[2] أحمد توفيق المدني:**هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001، ص91.

[3] فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر الرحال، دار القصبة للنشر، الجزائر ،2005، ص45.

[4] هاينريش فون مالتسان: المصدر السابق، ص244. (انظر الملحق رقم 09 ص 114)

[5] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900**، المرجع السابق، ص،ص 228،229.

- **محرقة الصبيح بمنطقة الشلف (من8 إلى 12 أوت 1845):**

بالرغم من موجة الانتقادات التي جاءت بعد جريمة أولاد رياح، فإنَّ تلك الفاجعة لم تؤثر ولم تمنع السفاح سانت آرنو من أن يقترف جريمة أخرى أشد فتكا من سابقتها، هذه المرة ضحاياها في كهوف الصبيح، وقد تم سد باب الكهف ببنائه على 500 فرد من القبيلة[1] منهم النساء والأطفال[2] وفي ظل سلسلة الإبادة الممنهجة يقول سانت أرنو: «لا نطلق النار ببنادقنا إلا نادرا، نحرق الدوائر، والمدن، وجميع الأكواخ، نكتسح البلاد، ننهب ونخرب الديار، والأشجار» .[3]

لجأت قبيلة الصبيح وآخرين من ضواحي مستغانم إلى المغارة يوم 8 أوت 1845، وكلف سانت آرنو النقيب ريتشارد بمراقبتهم، فتم حصارهم في 9 أوت 1845، حيث تمّ التشديد على المختبئين وإغلاق الفتحتين الرئيسيتين منعا لتسرب الهواء إلى الداخل، وأمر سانت أرنو بجمع التبن والحطب وتكديسها في5مداخل.[4]وانتظر حتى 12 أوت وأشعل النار فصارت هذه الكهوف مقبرة ضخمة، وتم التكتم عن هذه المحرقة.هذا ما ذكره في رسالته لأخيه في 15 أوت 1845 حيث قال سانت أرنو: «لا أحد يعلم غيري هذا المكان يوجد فيه 500 من الأشرار، أرسلت تقريرا سريا لاطلاع المارشال على كل التفاصيل».[5] وقد تم هذا التكتم خوفا من رد فعل الإعلام والسياسيين.

---

[1] قبيلة عربية تتواجد أراضيها على مستوى ولاية الشلف الجزائرية، وبالتحدي في المناطق الغربية لمدينة الشلف، يرجعون في نسبهم إلى صبيح بن علاج بن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، من قبائل بنو هلال: العرب العدنانية ذرية سيدنا اسماعيل عليه السلام. (انظر: قبيلة صبيح الجزائرية، https://tribusalgeriennes.wordpress.com، تم الاطلاع عليه بتاريخ 10 جوان 2025، على الساعة 7 مساء.

[2] محمد عيساوي ونبيل شريخي: المرجع السابق، ص193.

[3] جوزيف لاكوست، أندري برنييه، أندري جوني: المرجع السابق، ص283.

[4] العربي بلعزوز: المرجع السابق، ص-ص277-301.

[5] عبد القادر سلاماني: **المحارق الفرنسية ضد الشعب الجزائري بجبال الظهرة 1845**،مجلة دراسات وأبحاث، مجلد12، ع1، جامعة بشار، الجزائر، 2020، ص-ص 258-271.

- **ملحمة أولاد جلال 1847:**

كان مصير قبيلة أولاد جلال مشابها لمصير القبائل التي دعمت الشريف محمد بن عبد الله السابقة فقد تعرضت هي الأخرى لسياسة القمع والعقاب الجماعي، فبعد رفضها للاستسلام حاصر هيربيون واحة أولاد جلال، حيث وجد الرجال حاملين السلاح، والنساء تزغرد والطرقات مقطوعة، فدارت معركة حامية بين العدو والمجاهدين.[1]قام هيربيون بإرسال القائد بيار بيلون من 31 فوج لإجبارهم على الاستسلام، وحاولت مدافع العدو المتمركزة على قمة ضفة النهر والتي تتخذ من المآذن نقطة اتجاه لإطلاق القذائف على القرية. قُتل إثر هذه المعركة قائدهم بيلون وحوالي 30 رجلا، وقام هيربيون بفرض غرامة 50000 فرنك على القبيلة.[2]

أما أولاد نايل فقد نظم الجنرال ماري مونج بمعينة هيربيون حملة على أولاد نايل في1847، تعرضت فيها لحرب إبادة شاملةٍ عقابا على تأييدهم ودعمهم لبومعزة.[3]

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، المرجع السابق، ص289.

[2] Siroka, op, cit, p444.

[3] يحي بوعزيز: **المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي**، المرجع السابق، ص10.

خاتمة الفصل:

تعتبر مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من المقاومات الشعبية الاستثنائية التي شهدتها الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي، ورغم طابعها المفاجئ وسرعة انتشارها إلا أنها تطورت إلى مقاومة مسلحة منظمة لها زعيم وأهداف واضحة، ألا وهي التصدي للمشروع الفرنسي والدفاع عن الدين والشرف والوطن، حيث كبدت هذه المقاومة خسائر جسيمة رغم قصر مدتها الزمنية، والتي امتدت على طول الرقعة الجغرافية من الظهرة إلى الونشريس وتوسعت لشمال التيطري والحضنة وإلى نواحي أولاد جلال. كل المعارك التي خاضها بومعزة تدل على قوة شخصية قائدها وذكائه، والذي استطاع أن يصمد أمام القوى التي سخرت من أجل القضاء على مقاومته كل الأساليب القمعية من سياسة الأراضي المحروقة إلى سياسة التفكيك القبلي، إلى التعبئة الإعلامية.

الفصل الثاني:

تقرير مارتينفال: دراسة وصفية تحليلية.

المبحث الأول: وصف التقرير.

1. التعريف بالتقرير.
2. محتوى التقرير و أهميته.

المبحث الثاني: تقديم التقرير.

1. التعريف بالمؤلف.
2. ملخص عام حول التقرير.

المبحث الثالث : ترجمة التقرير.

1. الترجمة الحرفية.
2. شرح المفاهيم الواردة فيه.

تمهيد:

استطاعت شخصيةُ الشّريفِ محمّد بن عبد الله، التي جمعت بين الشّجاعة العسكريّة، والذّكاء السّياسيّ، والعمق الرّوحيّ، أن تُثير العديد من الأقلام، فقد تناولها العديد من الكُتّاب الفرنسيّين، على اختلاف مناصبهم وتخصّصاتهم، في مذكّراتهم وكتبهم ورسائلهم. نخصّ بالذّكر:

كتاب شارل ريتشارد في انتفاضة الظهرة (1845-1846).

كتاب سانت آرنو مراسلات المارشال.

كتاب الجنرال هيربيون في مذكرات .

كتاب هنري غارو في تاريخ الجزائر العام.

ولعلّ أبرز من كتب عن سيرة الشّريف محمد بن عبد الله ومقاومته هو "يوجين دو مارتينفال"، في تقريره بعنوان "بومعزة شريف أولاد يونس سجين الفرنسيّين، سيرة ذاتيّة، ومثيرة للاهتمام"، حيث يُعدّ مارتينفال من معاصري مقاومة الشّريف محمّد، كونه من ضبّاط الجيش الإفريقيّ الذين عاشوا أو ساهموا في صُنع الحدث.

لذلك سنقدّم في فصلنا هذا دراسة وصفيّة تحليليّة للتقرير، من خلال التّعريف بالتقرير ومؤلّفه، ودراسة مضمونه من خلال المحتوى، وأخيرًا تقديم ترجمة حرفيّة للتقرير.

المبحث الأول: وصف التقرير[1].

1. التعريف بالتقرير:

أ. الاسم الكامل للمؤلف:

- **باللغة العربية:** يوجين دو مارتينفال.
- **باللغة الفرنسية:** Eugène de Martinval.

ب. عنوان التقرير:

باللغة العربية: بومعزة، شريف أولاد يونس، سجين الفرنسيين، سيرة ذاتية ومثيرة للاهتمام من تأليف إي، دو.

باللغة الأجنبية: Bou-Maza, scheriff des Ouled-Yonnes, prisonnier des Français, notice biographique et intéressante par E. de [...].

ت. عدد الصفحات:32 صفحة.

ث. حجم التقرير: نسخة الكترونية "PDF".

ج. دار ومكان النشر: المكتبة الوطنية الفرنسية / Gallica.Bnf.Fr بباريس.

ح. الطبعة: دون طبعة.

خ. الإطار الزماني: ماي 1847.

د. الإطار المكاني: باريس- فرنسا.

ذ. الوصف الخارجي للتقرير:

[1] Eugène de Martinval: op, cit.

تتميز الواجهة ببساطتها وتركيزها على العنوان الرئيسي، حيث يظهر في الجزء العلوي الأيسر، شعار "BnFGallica " بخط واضح، مشيرا إلى المصدر الرقمي للمكتبة الوطنية الفرنسية. في منتصف الصفحة، يبرز العنوان بخط كبير وواضح باللغة الفرنسية:

" Bou-Maza, scheriff des Ouled-Yonnes, prisonnier des Français, notice biographique et intéressante par E. de[...] "

هذا العنوان يُقدّم معلومات أساسيّة عن موضوع التقرير، وهو شخصيّة تُدعى "بومعزة"، يُوصَف بأنّه شريف أولاد يونس وسجين لدى الفرنسيّين، بالإضافة إلى كونه "مذكّرة بيوغرافيّة ومثيرة للاهتمام" كتبها شخص يبدأ اسمه بالحرف "E." " Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France "

بشكل عام، تصميم الواجهة رسمي ويهدف إلى تقديم المعلومات الأساسية للقارئ بشكل مباشر وواضح. أما الخلفية فهي صفحة بيضاء.

ر. **الملاحق:**

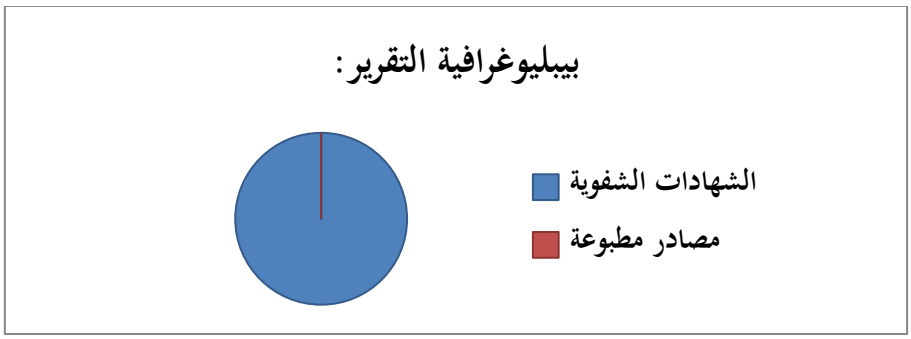

2. **محتوى التقرير و أهميته:**

أ- **محتواه** : التقرير سرد تاريخي، أسطوري عن شخصية ثورية جزائرية اسمها محمد بن عبد الله، المعروف بـ"بومعزة"، ظهر في منتصف القرن التاسع عشر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وادعى أنه المهدي المنتظر أو "مولاي الساعة" جاء هذا المؤلف في جزء واحد في سيرة الشريف

بومعزة، إلا أنه لم يكن مقسـما لا إلى أبواب ولا إلى مباحث، فلم يخضـع بذلك إلى منهج علمي دقيق بل استخدم عناوين صغيرة تضمنت:

1) محمد بن عبد الله اليسوع الإفريقي.
2) من أين حصل على لقب "بومعزة"(أب الماعز).
3) حصان بومعزة.
4) معجزات.
5) الأسطورة الشعرية.
6) شخصية بومعزة 1845-1847.
7) الحملات.
8) المحاولات.
9) الانتصارات.
10) الهزائم.
11) بومعزة العدو اللدود لعبد القادر.
12) بومعزة يعيد الزواج.
13) خيانة الثروة له.
14) لقاء بومعزة والكولونيل سانت أرنولد.
15) رسالة "نابليون" الشهيرة الساخرة للأمير الوصي لبريطانيا.
16) بومعزة في مرسيليا.
17) موسيقى ميلانو لو.

18) بومعزة في باريس

19) زيارة عند السيد "غيزو".

20) بومعزة باريسي.

حيث يندرج التقرير ضمن المؤلفات الهادفة إلى تبرير المشروع الاستدماري الفرنسي للجزائر عموما، كما يشير إلى ذلك المؤرخ أبو القاسم سعد الله في قوله: «قد ظهر خلال السنوات الأولى من الاحتلال كتاب عسكريون تولوا كتابة تاريخ محكوميهم ».[1] وذلك قصد التعرف على واقع الجزائر من خلال المشاهدة والملاحظة أثناء الحملات العسكرية.[2]

ب. أهمية و قيمة التقرير: هذا التقرير، على الرغم من أسلوبه السردي الذي يمزج بين الحقائق والغرائب، يحمل أهمية وقيمة كبيرة تكمن في:

- ✓ كونه مصدر تاريخي ويعد من الوثائق الأولية التي سجلت الأحداث كما رآها المحتل .
- ✓ تصويره للعلاقات بين المستعمِر والمستعمَر، فالتقرير يكشف عن نظرة الفرنسيين إلى الجزائريين في تلك الفترة، والتي تتأرجح بين الاستخفاف بهم ووصفهم بالجهل والتعصب، وبين الاعتراف بشجاعتهم وقوة تأثير قادتهم مثل "بومعزة."
- ✓ دراسة في فن الحرب والكر والفر حيث يصف التقرير تكتيكات "بومعزة" في القتال، والتي تتسم بالشجاعة والمباغتة، وكذلك قدرته على الانسحاب والمراوغة عند الضرورة.
- ✓ مرآة تعكس كيف يرى المحتل خصومه، وكيف يخلق الأبطال الأسطوريون من رحم المآسي... أو يتم اغتيالهم رمزيا بقلم ساخر!

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900**، المرجع السابق، ص19.

[2] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار البصائر، ط2، الجزائر، 2009، ص16.

- ✓ تصوير لكيفية تناول الأحداث الاستدمارية في الصحافة الفرنسية: فأسلوب التقرير يعكس مزيج من السرد القصصي والتحليل السياسي، وهي الطريقة التي كانت تُعرض بها الأحداث في المستعمرات الفرنسية على الرأي العام في فرنسا.

المبحث الثاني: تقديم التقرير.

1. **التعريف بالمؤلف:** مارتينفال دي يوجين "Eugéne de Martinval"[1].

هو ضابط فرنسي شارك في صفوف الجيش الإفريقي[2] خلال القرن التاسع عشر والذي كلف بمهام عسكرية في الجزائر والتي كانت من المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا.

يعود أصول اسم عائلة مارتين–فال وهو اسم فرنسي مركب «martin-val" المأخوذة من الكلمة اللاتينية "Martinus" نسبة لإله الحرب عند الرومان المعروف في التاريخ الأوروبي كجندي قبل أن يصبح قديس. هذا الاسم له خلفية حربية.

أما val تعني الوادي بالفرنسية القديمة يدل على أصل طبوغرافي مرتبط بالمكان وادي مارتن أو وادي المحارب. يشتهر هذا الاسم خصوصا في منطقة السوم شمال فرنسا حيث يوجد حي صغير في بلدية إبيهي "Epéhy" يدعى مارتينفال.[3]

[1] لم نجد معلومات كافية عليه.

[2] تأسس في 1830 وهو القوات الفرنسية في مستعمراتها. شمال افريقيا تكون لحاجة إيجاد قوة مناسبة ومتمكنة لتضاريس ومناخ البلاد فلجأت لاستخدام القوى المحلية. يتكون من مزيج جنود فرنسيين وأوروبيين وسكان محليين ومن شمال افريقيا مسلمين ويهود. يتألف من وحدات تحت اشراف ضباط وضباط صف من فرنسا، وحداته كالتالي: الزواف (سكان محليين)، الفيلق الأجنبي، المشاة والصيادون.

[3] Geneanet: **Origine du nom de famille Martinval** , https://www.geneanet.org , consulté le 3 avril 2025, à 9 :00 am .

تقلد مارتينفال رتبة ضـــابط صـــف في الجيش الإفريقي، وهي رتبة عســـكرية يرتقي إليها الجنود والضـــباط، وتعتبر العمود الفقري في المهام الميدانية والانضـــباط العســـكري.[1] بحيث كلف بعملية تمشـــيط الونشريس خلال مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.

من أهم مؤلفاته بومعزة شريف أولاد يونس سجين الفرنسيين سيرة ذاتية.

2. ملخص عام حول محتوى التقرير[2]:

يمكن القول إن التقرير قليل المادة، حسن الترتيب، احتوى معلومات تاريخية محدودة الزمان والمكان تناولت سـيرة محمد بن عبد الله "الملقب ببومعزة" في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسـي. حيث يصـفه بأنه رجل اسـتغل نبوءة دينية ليعلن نفسـه المهدي المنتظر "مولاي السـاعة" ويجمع حوله قبائل جاهلة ومتعصـبة للقيام بحرب مقدسـة ضد الفرنسيين. حيث يسلط التقرير الضوء على:

أ. نشأته ودعوته:

- مغربي الأصل، استقر في منطقة "الظهرة."
- شجاع وجريء ولكنه أيضًا داهية وماكر، يستغل الدين لتحقيق أهدافه.
- بدأ الدعوة وهو شاب، وادعى النبوة، وسماه الناس "مولاي الساعة."
- جمع حوله أتباعًا مستعدين للجهاد ضد الفرنسيين.

ب. الأساطير والقصص الشعبية:

- قيل إن حصانه يطير، وأنه محصن ضد الرصاص.

[1] FM-GACMT: **armée D'Afrique et troupes coloniales, deux entités au service de l'empire 1830-1914**, dans Mémoire et Savoirs, https://www.fm-gacmt.org/, consulté le 3 avril 2025, à 8 :48 am.
[2] Eugène de Martinval: op, cit, p-p 8-32.

- لقب "بومعزة" جاء من قصة عن عنزة كانت تتبعه وتدر الحليب للمجاهدين!
- تحولت أسطورته إلى مادة خصبة للحكايات الشعبية، بين الهزل والبطولة حيث ساهمت في تعزيز صورته لدى أتباعه.

ت. نضاله العسكري:

- قيادته للقبائل في معارك ضد الفرنسيين، وتحقيق بعض الانتصارات والهزائم.
- تعرّض للخيانة، والإصابة، وفرّ عدة مرات إلى الجبال أو عند الأمير عبد القادر.
- عداوته مع الأمير عبد القادر وتزويجه لزوجته بأحد فرسانه.

ث. اعتقاله ونفيه لفرنسا:

- استسلامه والظروف المتعلقة بذلك وأنها حركة لشل جهود الأمير عبد القادر.
- نقله إلى الجزائر ثم إلى باريس، حيث استقبل ك" أسد الموسم" من قبل النخب الفرنسية!
- شعر بالحزن والضياع، وأصبح جزءًا من استعراض فرنسي استدماري مبطن.

في المجمل، يروي التقرير قصة صعود وسقوط شخصية "بومعزة"، التي تمثل تحديا للسلطة الفرنسية في الجزائر واستطاعت أن تثير حماس أتباعها من خلال مزيج من الدين والشجاعة والأساطير.

آراء مختلفة حول المؤلف و الكتاب:

- المؤلف ليس مؤرخا بمعنى اختصاصي.[1]

[1] عبد القادر نايلي: **مذكرات العسكريين الفرنسيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي و مدى مساهمتها في تدوين تاريخ الجزائر "المقاومات الشعبية أنموذجا"**، مجلة تاريخ العلوم، ع13، جامعة الجلفة، دط، 2020، ص51.

- التحيز في نقل الوقائع، حيث تؤكد المصـــادر الفرنســـية دائما على التفوق والانتصـــار في جميع الأحوال بالنسـبة للجيش الفرنسـي في حين تحاول تقزيم المقاومة ورجالها الذين أعطوا العدو دروسـا لا تنسـى وهذا بشهادة الكثير منهم.[1]
- لم يكتب مارتينفال تقريره بموضوعية فبدل من إنتاج تقرير يهدف فقط إلى الاستخدام العسكري، قام بتأليف وسرد أدبي موجه لجمهور أوسع بما في ذلك صناع القرار السياسي، المدنيين، والمستوطنين. حيث سعى لتعزيز موقف المحتل والتقليل من مكانة الشريف بومعزة كقائد للمقاومة وتخليه عن هويته وانبهاره بالحضارة الفرنسية[2] وتجريد مقاومته بعدها الاجتماعي والسياسي وحصرها في ظاهرة أسطورية خرافية وإخفاء الأسباب الحقيقية ومحاولة إظهار الجزائريين بالشعب المتخلف الساذج المنقاد وراء الخرافة تبريرا للاحتلال بهدف القضاء على هذا الفكر الرجعي ولتمجيد فرنسا الحضارية.[3]

المبحث الثالث: ترجمة التقرير.

1. الترجمة الحرفية.

بومعزة، شريف أولاد يونس، سجين الفرنسيين، سيرة ذاتية ومثيرة للاهتمام من تأليف إي، دو[...]

المصدر gallica.bnf.fr/ المكتبة الوطنية الفرنسية.

بومعزة

شريف أولاد يونس

[1] نفسه، ص51.

[2] The role of music in France's colonisations of Algeria (late 1840s - early 1850s) , site de University of helsinki, https://www.helsinki.fi/, consulté le 12 mai 2025, à 01 : 22 pm.

[3] Mouloud Haddad, op, cit, pp 49-61.

سجين الفرنسيين

سيرة ذاتية ومثيرة للاهتمام،

من تأليف إي، دو ماريتنفال،

ضابط صف سابق في الجيش الإفريقي.

الفهرس:

محمد بن عبد الله اليسوع الإفريقي. – من أين حصل على لقب "بومعزةْ "(أب الماعز). –حصان بومعزة. – معجزات. – الأسطورة الشعرية. — شخصية بومعزة 1845-1847.الحملات. – المحاولات، الانتصارات، الهزائم. – بومعزة العدو اللدود لعبد القادر. – بومعزة يعيد الزواج. – خيانة الثروة له. –لقاء بومعزة والكولونيل سانت أرنولد. — رسالة "نابليون" الشهيرة الساخرة للأمير الوصي لبريطانيا. – بومعزة في مرسيليا. — موسيقى ميلانو لو. — بومعزة في باريس. – زيارة عند السيد "غيزو". – بومعزة باريسي.

السعر: 30 سنتيم

باريس،

متوفر لدى جميع المكتبات

1847

باريس. —مطبعة إي، بوتريش،

طريق لاهارب، 90

سيأتي رجل بعدي، قال "محمد": سيكون اسمه مشابها لاسمي"؛ واسم أبيه سيكون مشابها لاسم أبي" "واسم أمه سيكون مشابها لاسم أمي. يمكن مقارنة شخصيته بي، ولكن ليس ملامح الوجه؛ سيملأ الأرض بالعدل والإنصاف."

بالطبع، هاهي نبوءة جميلة وجيدة، ها هو إعلان مسيح جديد، حيث لا نستطيع الخطأ فيه، ونفهم تماما أن العديد من الدجالين حاولوا الاستحواذ على اسم "محمد". من بين الجميع، هناك واحد أكثر جرأة، وأكثر حذاقة، حتى أكثر إقناعا من الأخرين.

---------- 4 ----------

إنه محمد بن عبد الله، الملقب "بِبُومعزة". يرتبط اسمه بجزء من تاريخنا الدموي في إفريقيا، والتفاصيل التي جمعناها حول حياة هذا الرسول الغريب جد استثنائية.

يَندرج "محمّد بن عبد الله بومعزة" من أصولٍ مغربيّة، جاء واستقرّ وهو طفلٌ في "الظّهرة"، وقد اختار زوجةً له من قبيلة "أولاد يونس."

وقبل كلّ شيء، صالَ وجالَ كلَّ البلاد وكلَّ القبائل المجاورة، مُعلِنًا بصوتٍ عالٍ أنّه رسولُ الله، والمنقذُ الموعود من قبلِ محمّد.

أخيرًا، مولاي السّاعة نفسُه، نوعٌ من المسيح المزعوم أُلقيَ على أرض إفريقيا ليَغرسَ رايةَ الحرّيّة الدينيّة، ويُشعلَ شُعلةَ الثورة.

---------- 5 ----------

"إنَّهُ لَمحمّدُ بنُ عبدِ الله، إنَّهُ لابنُ الله، إنَّهُ لَمولايَ السّاعةِ، يجبُ الطّاعة؛ لأنّي أنا هو السيّد، السيّدُ الأعلى، هل تسمعون جيّدًا؟

أنا هو الذي اختارهُ اللهُ لأُحرّركم من المسيحيّين؛ لأنّه معي ستفوزون دائمًا، وسأطردُهم من هذه الجبال، وسأقتلُهم مثلما أقتلُ حيوانًا مفترسًا.

اللهُ أكبر! اللهُ أكبر، ومحمّدٌ هو ممثّلُه.

حارِبوا بشجاعة، اللهُ أكبر!

حارِبوا بشجاعة، اللهُ أكبر"

هذه الإعلاناتُ الوحشيّة، وهذه اللّغةُ القويّة، كانت تُلهِمُ محمّدًا؛ فما إن كان يُخاطبُ رفاقَه هكذا، حتّى يُطلقَ صرخةً حادّة، ويَسحبَ سيفَه، ويَندفعَ على رأسِ جنودِه في أضيقِ الممرّات، بجرأةٍ وحماسٍ غيرِ معقول.

في بلادِ الحكايات، والعجائبِ، والمعجزات، يجب توقُّعُ رؤيةِ "محمّد بن عبد الله"، بطلِ إحدى هذه الحكايات، وإحدى هذه العجائب، وإحدى هذه المعجزات.

---------- 6 --------

سيكفي أن نَحكي الخُرافةَ التي أعطته اسم "بومعزة."

وفقًا للرواية العربيّة، "بومعزة" يعني أبَ العَنزة.

في يومٍ من الأيّام، وجد "محمّد"، وهو عابرٌ في الصّحراء، عنزةً جدَّ مرهقة، وعلى وشك الموت من العطش، فَحملَها وأخذها معه إلى خلوته.

منذ ذلك الوقت، صارت العنزةُ تتبعه، وتزوّدهم بكميّةٍ من الحليب تَكفي كلَّ الذين يُحاربون معه.

هذه القصة، التي ليس لها حتّى ميزةُ أصالة، حيث إنّها مدوّنةٌ عند اثنين أو ثلاثة من الشّعراء الشرقيّين، تُحكى بالطّريقةِ الأكثر جديّةً في العالم.

ولا نَشكُّ أنّ عنزةَ "بومعزة" ستجدُ "هوميروسها" يومًا ما، أو على الأقلّ "فرجيل الصّغير"، صاحبَ الأسنانِ الطويلةِ والبيضاء، والأرجلِ العارية، وبالبرنسِ المصنوعِ من الكشمير، يُغنّي عنها بالعربيّة، وحتّى بالتّركيّةِ والفارسيّة – وبكلِّ الأنماط – إذا تحصّل على بعضِ التّعليمات.

عندما نَحكي مثلَ هذه الأشياء، لا يمكنُنا قولُ الكثير.

---------- 7 ----------

إذًا، نرجو، بطيبةِ خاطر، أن يُغفرَ لنا على القصّةِ القادمة. إنّها ذو مصداقيّةٍ لا جدالَ فيها:

كان جوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا كالرّيح؛ وكان يلتهمُ المسافةَ بنفادِ صبرٍ، متقدّمًا على مجموعةٍ من الفرسان.

فجأة، توقّفتِ الأحصنةُ بحركةٍ واحدة.

وجوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا كالرّيح، وكان يلتهمُ المسافةَ بنفادِ صبر.

صرخَ مُرافقو "مولاي السّاعة" لِيَتوقّف، ولكن دون جدوى.

كان جوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا كالرّيح، وكان يلتهمُ المسافةَ بنفادِ صبر.

ثم لم يَرَ الفرسانُ "بومعزة" بتاتًا.

في ذلك الوقت، كان جوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا كالرّيح، وكان يلتهمُ المسافةَ بنفادِ صبر.

انتظروا طويلًا، ثمّ صلّوا. هل استدعى اللهُ ابنَه إليه؟

وكان جوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا كالرّيح، وكان يلتهمُ المسافةَ بنفادِ صبر.

كان جوادُ "بومعزة" يطيرُ، يطيرُ سريعًا، ولكنّه أخذ سيّدَه نحو الخيمةِ التي نصبَها رفاقُه في الحرب.

---------- 8 ----------

وعندما عاد "بومعزة"، حكى أنّه فُوجئ بأعداء، وأنّه حارب لوحدِه، في حين كان جوادُه يَطير، يَطيرُ سريعًا كالرّيح؛ حكى أنّ أميرًا من قبيلةٍ بعيدة جاء إليه. حينها، جوادُه لم يَعُدْ يطيرُ سريعًا، سريعًا، لأنّ جوادَه توقّف؛ وحارب "بومعزة" الأمير.

سحب الأميرُ سيفَه، في وقتٍ كان الجوادُ يَرمي سُيولًا من اللّهب من منخريه.

أراد الأميرُ ضربَ "بومعزة"، ولكن الجوادَ طارَ بسرعةٍ فائقة، بسرعةٍ فائقة، حتّى إنّ الفولاذَ أحدث وميضًا في الهواء.

ثمّ أراد الأميرُ قتلَ "بومعزة" بطلقةٍ من بندقيّتِه، وصوّبها نحوَه؛ ولكن الجوادَ انحنى، مُرِنًا ومُطاوِعًا، والرصاصةُ القاتلةُ أطلقت صفيرًا من الغضب في الهواء.

ثمّ أكمل الجوادُ طيرانَه بسرعةٍ فائقة، بسرعةٍ فائقة، إلى أن صار "بومعزة" بين إخوانِه.

هذه الحكايةُ الشِّعريّةُ والملوّنةُ، أقنعت كليًّا أنّ "بومعزة" كان مُحصَّنًا ضدَّ الرّصاصِ والأسلحةِ البيضاء.

---------- 9 ----------

هذا هو معنى امتلاك حصان جيد!

ذكرنا حكاية، ذكرنا أعجوبة. آن الأوان للأعجوبة.

يبدو أنَّه لم يكتف بتجنيب فارسه الجروح العميقة وحمايته من الرصاصات الموجهة بيد ثابتة، كان لحصان "بومعزة" أيضا موهبة رائعة: يتحول لسلاح ناري حسب الرغبة. بالكاد أن يضطر "بومعزة" للفرار من المسيحيين، إذ كل شعرة من ذيل الحصان شبه مجنح تتحول إلى بندقية بطلقتين وثلاث طلقات (بالله)، تطلق النار بقلب سار، وبهذا الحدث المؤسف، كانت تساعد "بومعزة" بشجاعة.

لا ندري إذا "بومعزة" يأخذ حصانه معه. نود ذلك، سيكون السيد "روتشيلد" متضايقا.مهما كان، لا نستطيع إنكار المكانة العالية "لبومعزة": إنه بلا شك عقل مميز يخطوا مباشرة إلى هدف دون الاهتمام بالعقبات التي تعترض طريقه. مؤسفا ألا يكون "بومعزة" فرنسيا.

قبل كل شيء، "بومعزة" محارب، يحب بريق الحديد، رائحة البارود، صوت المدفع، صهيل الأحصنة، همهمات الطبول.

---------- 10 ----------

صوت البوق، وفوضى الاشتباك، وصيحات المهاجمين، وصرخات المهزومين، وفرح القاتلين، وأنين القتلى.

1845-1847 اتبعه في حملاته، وكن شاهدا لمعاركه، افحصوا محاولاته، وستدرك أن "بومعزة" عدو خطير. ويل لمن لا يتقدمه إليه.

عند أولاد يونس، يكتسب تأثيرًا هائلًا؛ يفرض نفسه كفاتح. إنه أتيلا، إنه قيصر، إنه تقريبًا نابليون مع نقصان في المنطق والعقل والفكرة. من حوله يتجمع الشَّلاوة، والعشاشة. كل الجبليين يجتمعون ليحاربوا مع بومعزة. يقتل قائدنا القايد بلقاسم، ويجمع بصعوبة خمسمئة فارس سيئي التسليح، ويصل أمام أورليانفيل "Orléansville"، التي يهددها بوقاحة، ويحاول أن يشعل النيران في "السْمَالَة" (خيام الفرسان) الخاصة

بالسبايح. يُصدّ حتى وادي عروسي، ويُهزم قرب عين ميران على جبل كريمينشا، على يد الكولونيل سانت أرنو. يلجأ بومعزة إلى الظهرة. في كل مكان يدعو إلى الحرب المقدسة، وفي كل مكان يجذب الحلفاء.

في "عقريلة"، خسارة؛ عند "مطلاسة"، فوز، مذبحة، قتل. لمن سيسلم "بومعزة" مكافأة سيتم تقديمها قدرها ألف دورو، ماذا ستفعله ألف دورو لهؤلاء الذين يخدمون مولاي "الساعة"! التعصب يتغلب على الطمع.

--------- 11 ---------

في وقت سابق كان يفر، فجأةً ظهر قوي، أكثر نصرا من أي وقت مضى، على رأس "أولاد دفلتن" و"أولاد علي".

ومع ذلك، يجب إيقاف جهوده بأي ثمن؛ يتم توجيه حملة ضد "بومعزة" خارجة من ثلاثة أماكن: تنس، أورليان فيل ومستغانم. يرى أخاه يسقط إلى جانبه، يرى سقوط عدة من فرسانه، فيهرب. يفاجئه السيد "دانفيل" عبثا في مخبئه. يترك "بومعزة" حماته تأخذ كأسيرة، يتخلى عن نسائه (كان محقا تماما) عن جواريه السود، عن خدمه، ويفر إلى جبل مجهول مع ثلاثين رجلا.

كان الحماس في ذروته، استفادة "بومعزة" من ذلك بمهارة. في يوم 10 نوفمبر 1845، نجده عند "المنين" بعد هجوم فاشل على "تنس القديمة". هنا تبدأ الانتكاسات بالاختلاط بالانتصارات. "أخوام" هو إحدى إخوانه، ضبط عند "بني زوغزوغ". يمثل "أخوام" أمام مجلس الحرب بالجزائر العاصمة، ويكشف لنا عن جزء من خطط المتمردين، قبل أن يسلم رأسه للجلاد.

بعد شهرين، حدثت مناوشة من جديد، مناوشة قاتلة "لبومعزة"، إذ إن رصاصة أصابته وكسرت ذراعه، رغم المعاناة الشديدة التي كان من الصعب مواجهتها (يقال إن مفصل الذراع كان مكسورا)، تمكن من الانضمام إلى "عبد القادر" في الصحراء.

---------- 12 ----------

جاء مولاي "السّاعة" (سيّدُ مصيرِ السّاعة) إلى مولاي "الذّراع" (سيّدُ الذّراع)؟

إذ كان من المستحيل أن يتفاهمَ رجلُ القوّةِ الغاشمة والملهمُ من الله لفترةٍ طويلة.

مرّةً، فعلًا، في نوعٍ من حالةِ الفرارِ العام، لم يقبل "عبد القادر" إعطاءَ حصانٍ لـ"بومعزة."

وكان يعني هذا: "ما حاجتي لتحالفِك؟ انسحبْ مع رجالِك، ودعني أتصرف كما يحلو لي".

"بومعزة"، الذي ظنّ أنّه لا يستطيع الاستغناءَ عن "عبد القادر"، استمرّ في اتّباعِه رغم الإهانة؛

ولكن "عبد القادر" لم يكن الرّجل الذي يتحمّلُ الرّفض.

عند وصولهم إلى الدائرة، زوّجَ فعليًّا زوجةَ "بومعزة" بقائدِ فرسانِه.

هذه المرّة، فهِم "بومعزة" وفرّ ليلًا مع ثلاثين فارسًا إلى "بوسمرون."

إنّ "بومعزة" شخصٌ لا يَكِلُّ، وعندما علم أنّ طابورًا قد خرج من "بوقار" لمعارضةِ تحرّكاتِه.

هرع يطلبُ المساعدةَ والحماية من "أولاد عرقات" و"أولاد زكري".

---------- 13 ----------

يستسلمُ مرّةً أخرى، غاضبًا ومُلهمًا على وجهِ الخصوص، ومهما يحدُث، ورغمَ ذكرياتِ هزائمِه الأخيرة، يريد إنجازَ المهمّةِ التي يظنّ أنّها فُرضت عليه. حاول "بومعزة" الذهابَ إلى "تونس"، وفي الطريق، استمع إلى احتجاجاتِ وليٍّ صالح، وذهب إلى "أولاد ساسي." هذه الطبيعةُ المحتدمةُ بحاجةٍ إلى رفقةٍ تُشاركه نضالاتِه، وانتصاراتِه، وأفراحَه، وأحزانَه. بعدما صار أرملًا بسبب "عبد القادر"، تزوّج "بومعزة" ابنةَ "علي حيونال." بمجرّدِ زواجِه، استأنف حياتَه المغامرة، ونهبَ القوافل؛ ولكنّه كان قد طُورد بشدّة. لم يبقَ إلّا خيارٌ واحدٌ لـ"بومعزة":

العودةُ إلى مسرحِ إنجازاتِه الأولى؛ هنا، على الأقلّ، واثقًا من نفسِه؛ ما على "مولاي السّاعة" إلّا أن يتكلّم، وعلى صوتِه يمتطي الفرسانُ السّروجَ؛ وما على "بومعزة" إلّا أن يُشير، وعند إشارتِه ستبدأ المعركةُ من جديد: رهيبة، وبلا لُحمة ولا شفقة. ولكن، ابتداءً من تلكَ اللحظة، يبدو أنّ القَدَرَ بدأ يتدخّل في مصيرِ "بومعزة."

هنا، حيثُ كان يجب أن يُصلح كلَّ إخفاقاتِه، توقّفت مسيرتُه. استقبلته قبيلة، ولكنّها خافت من الفرنسيّين؛ فأمرَ الشّريفُ بمغادرةِ البلاد، ومنح مرافقةً من أربعين فارسًا لمرافقتِه إلى "تاجين."

أخيرًا، في 11 مارس 1847، قائد "أولاد بسّام"، ذهب "شراقة" لمقابلةِ رئيسِ المكتب العربي لـ"ثنية الحد"، الملازم "مارغريت".

---------- 14 ----------

بعد فترة وجيزة، أنظم إليه فرسان؛ كلهم خائفون، شاحبون ومرتجفون، حكوا أن "بومعزة" قد مر بالقرب من دواويرهم وهددهم بالموت.

كان مع الملازم "مارغريت" اثنا عشر "سباهي" وسبعة عشر "مخزنيا" فقط؛ المهمة كانت محفوفة بالمخاطر، إذ كان من المفترض أن "بومعزة" كان على رأس عدد معين من الفرسان. كان ذلك فقط بعد ثلاث ساعات من المطاردة وبأقصى سرعة تمكنا من الالتحاق"ببومعزة" عند"بني لاسم"، في "الضبطة".

في هذه المناسبة، كان موقف الملازم "مارغريت" صعب؛ كونه الفرنسي الوحيد في مواجهة عرب حلفاء وأعداء، أدرك، عندما رأى "بومعزة"، أن التعصب ضد "مولاي الساعة" قد أحيي فجأة. الفرسان،مرعوبين، مذهولين، لم يجرؤوا على التقدم. جر الملازم "مارغريت" أربع من خيالة "بومعزة"، من بينهم

"شاوشه" (نوع من الرسل) الذي سقط قريبا. والفرسان الآخرين، محاصرين في واد، تركوا خيولهم واندفعوا في كثافة غابة مجاورة.

قاوم "بومعزة" الهجوم ودافع عن نفسه كالأسد، ثم سرعان ما اختفى في الغابة.

---------- 15 ----------

ونفّذ هذه المناورةَ بسرعةٍ، لدرجةِ جمعِ بُرنُسِه، وصدرِ سَرجِه، وصندلِه المفقودِ في السباق، وأقمشةٍ، وحوالي 1200 فرنكٍ نقديّ؛ وُجد أيضًا في أمتعتِه حالةُ نفقاتِه، وقائمةٌ بالقبائل وزعماءِ الظهرة الذين وزّع عليهم الأسلحةَ والأحصنة. لمدةِ ساعةٍ ونصف، فتّش الملازمُ "مارغريت" الغابةَ.

عقوبةٌ لا داعيَ لها! من الواضح أنّ "بومعزة" كان مفقودًا بدون رجعة. عزمَ الشّريفُ إنهاءَ هذا الوجودِ الجِدّ مجهول، وقرّر تسليمَ نفسِه للفرنسيّين.

وربّما لا ينبغي أن نرى في هذا الاستسلامِ غيرِ المتوقَّع سوى فكرةٍ غامضةٍ لشلّ جهودِ القائد "عبد القادر"،

بتركِ الفرنسيّين إمكانيّةَ تركيزِ جميعِ قواهم لمحاربةِ الأمير. وهكذا سلّم "بومعزة" نفسَه سجينًا، بكِرامةٍ ونُبل.

وإليكم الظروفَ التي حدث فيها ذلك:

عند مغادرةِ أراضي "أولاد يونس"، ترك السيّدُ الكولونيل "سانت أرنولد" بالقربِ من القائد أربعةَ فرسانٍ مكلّفين بجمعِ الغرامةِ المفروضةِ على القبيلة.

---------- 16 ----------

بعد عدة أيام، اجتمع هؤلاء الرجال لينفذوا مهمتهم، حين ظهر فارس عند مدخل الخيمة

هذا الفارس نزل عن فارسه.

هذا الفارس هو "بومعزة"!

لقد فقد "مولاي السـاعة" جزءا كبيرا من هيبته في عيون حلفائه؛ إذ صـرخ القائد: "بومعزة"، سـيدنا ومولانا، بسم الله، الذي تدعي أنك ابنه، اذهب من هنا!

اذهب من خيمتي!

فوالله، محمد، نبيك ونبي، سيدخل الشقاء معك إلى خيمتي.

اذهب من هنا يا محمد بن عبد الله؛ فقد أحضرت الويل معك من قبل.

يا محمد، لقد حاربت معك، وخضعنا.

لتتم مشيئة الله.

اذهب من خيمتي؛ بسببك سكن الشقاء في خيمتنا، هذا الضيف الذي لا نستطيع تفاديه.

يا محمد بن عبد الله، اذهب من هنا، اذهب من هنا."

لا يتشـارك "المخازنية" الأربعة نفس ليونة واعتدال القائد؛ لأنهم أصـلا يتلفظون بكلام فيه تهديد، ولكن بصوت خائف وغير واثق.

---------- 17 ----------

"هدوء، أجاب الشـريف بجدية، في الحين ليس وقت الحرب. أريد أن أمنحكم الأمان(العفو)؛ تعالوا معي لملاقاة كولونيل "أورليان فيل."

أصلا، قد سبق فارس لتحذير الكولونيل. مشى "بومعزة" إلى السيد "دو سانت أرنولد" بخطوات هادئة وبطيئة مخاطبا إياه بهذه المصطلحات:

"يا فرنسي، في أغلب الأحيان، قدت فرساني ضدك أنت.

"لقد رأيتك في كل المعارك، وفي الحين فهمت أنك شجاع.

"فقررت الاستسلام.

ولكن لم أرد أن أسلم نفسي لأي شخص آخر غيرك أنت.

"يا فرنسي، إنني أسلم نفسي لك أنت."

لم يشك بومعزة، على الأرجح، أنه كان يتحدث عن تلك الرسالة الشهيرة لنابليون إلى الأمير الوصي في إنجلترا.

إن اعتقال "بومعزة" فال خير لاحتلال الجزائر. من خلاله، ستقل نفوذ إخوة "مولاي الطيب"، هذه المنظمة الجد قوية، هذا النوع من اليسوعية، هذه الطائفة المتعددة، التي وضعت الكثير من المبعوثين في أرجاء الجزائر من بينهم "بومعزة" الذي كان الأكثر وطاد.

---------- 18 ---------

إنه القائد "ريتشارد"، رئيس مكتب "أورليان فيل" الذي أوكل إليه نقل "بومعزة" إلى "باريس".

في 19 أفريل، وصل "بومعزة" إلى الجزائر. لقد تلقى شهادات الاحترام والتقدير طول الطريق. العرب، رغم رؤيتهم تحت سيطرتنا، إلا أنهم كانوا يأتون مهرولين من بعيد لإلقاء نظرة أخيرة على "مولاي الساعة". بل كان البعض منهم أيضا يركعون أمامه ويقبلون قدميه.

على متن سفينة كاميليون، عومل "بومعزة" بشكل ملائم وكان ممتن لذلك.

في مرسـيليا، تم إرسـال إشـعار من الوزير إلى القبطان "ريتشـارد"؛ قد تقرر أن "بومعزة" لن يأتي إلى "باريس".

آه! وعندئذ أطلق الأسد العنان. يرفع يديه إلى السماء كأنه يستنجد بعبد الله، ويصرخ:

أريد الذهاب إلى باريس، لأنني سمعت يحكون عن المعجزات.

باريس هي مسجد فرنسا.

---------- 19 ----------

أريد الذهاب إلى باريس، لأن السجن هناك سيكون جد لطيف.

في حين، إذا حبستموني ما بين أربع جدران، سأبكي على غاباتي وجبالي وأصدقائي.

آه! أتركوني أرى باريس؛ لأنني أموت؛ وستكونون قد قتلتموني.

وهناك في جبالي، سيلعنونكم.

لأن بومعزة سيكون دائما، مهما قلتم، ومهما فعلتم، مولاي الساعة، ابن الرب.

لقد قال لي الله أن آتي إليكم، ولكن صوته أيضا قال لي بأن أثق بأمانتهم."

سرعان ما نسي أنه كان تحت قبضتنا، نسي عجزه وخلط بينه وبين اللعنات الغاضبة.

...أصوات موسيقية متناغمة تصل إلى أذنيه، موسيقى هادئة وحالمة تغرقه في نشوة لا يمكن وصفها. نظرته أصبحت أُقل وحشية. كصول جديد، انتظر لسماع لكنته الساحرة. تحول غضبه إلى استسلام. يشعر

بأفكار غريبة تنشـأ فيه. لم يعد هناك بومعزة. أحل الأسـد بحلة جديدة. إنه فرح حاليا ويسـتمتع بفرحه. يغطس في موجات الموسيقى ولا يرفع رأسه إلا للتنفس ولا يفقد أنفاسه؛

---------- 20 ----------

إنه حزين تارة وفرح تارة أخرى. إنه قوس ميلانو لو الصغار هي التي تعيد له الحياة، والراحة، والهدوء.

لنواجه الشياطين الزرقاء الآتية لمضايقة "بومعزة" بالموسيقى، وسيشفى بومعزة.

لكن شريطة ألا يسمع المسكين المخلوع انفجار البندقية فجأة في وسط موسيقى رومنسية، بشرط ألا يأتي صهيل الحصان ويحطم تأثير المقطوعة الغنائية.

آه! عندها، سـتكون الموسـيقى عاجزة، وسـيعود "بومعزة"، ولو لمجرد بعض الدقائق، ملك الصـحاري والجبال.

هذا صحيح، ستجد الجبال والصحاري مجتمعة، في غرفة معيشة مساحتها عشرين قدم مربع، وسيضطر "بومعزة" لممارسة فروسيته على كرسي فولتير.

من كل هذه الثرثرة، نستنتج جليا أن "بومعزة" عاشق للموسيقى من الدرجة الأولى.

لقد أسـعد كثيرا هذا الخبر السـيد "بارليوز"، الذي أخبرنا في الحين أنه سـيؤلف سمفونية بدوية تحت عنوان: بومعزة وعبد القادر. أصلا، إننا نتكلم عن مرافقة الموسيقى بطلقات البنادق، وصياح وصهيل الأحصنة الذي سيحدث أثرا كبيرا.

---------- 21 ----------

يتراوح عمر "بومعزة" حوالي 25 سنة. تحمل ملامحه مسحة من الكآبة والحزن اللذين لا يتباينان كفاية مع النظرة الخاطئة والباهتة. يرتدي الزي الوطني، فقط استبدل صندله بأحذية ذات طيات.

في 5 ماي، وصل "بومعزة" إلى "باريس" عن طريق عربة بريد "سانت إتيان".

فقد نزل في فندق السيد "دو''''، شارع "فرنسوا الأول"، في "الشانزيليزيه".

في اليوم الموالي، ذهب الشريف للقاء السيد "غيزو"، وزير الشؤون الخارجية. وقد كان يرافق "بومعزة" فقط مترجم وفي عربة أجرة متواضعة.

مثلما يمكن أن نتخيل، أحدث خبر وصول "بومعزة" ضجة كبيرة في المكاتب. قبل ساعتين من اقتراب زائرنا غير المرغوب فيه من فندق "الكابوسين"، توقف الريش عن مداعبة الورق. كان السياسيون المبتدئون يذهبون ويأتون، يركضون، يرجعون، ثم يخرجون واحدا تلو الآخر خوفا من تأنيب رئيسهم. ولكنه حذا حذوهم، فاجتمع الكل في وقت ما وصل "بومعزة" عتبة الفندق.

---------- 22 ----------

فمر بدون أن يحني رأسه تحت مشعل الفضول. فهناك أين رأيناه.

لم يكن بومعزة قط منشغلا بالاهتمام الذي كان يجذبه بشكل عام. فقط، ألقى نظرة ثاقبة على شاب كان يتواجد فإحدى زوايا الفناء. كان الشاب يحمل قلم في يد وفي الأخرى قطعة كرتون صغير. ففهم بومعزة سريعا أنه كان يرسمه. فابتسم قليلا باستخفاف ومشى ببطء أكثر.

بدون أي شك، سيكون "بومعزة" أسد هذا الموسم، في المفهوم الذي نعطيه لهذه الكلمة.

إننا بالفعل نتكلم عن دعوة "بومعزة"، ما لم تكن هناك موانع فوق الطاقة، إلى عدة صالونات؛ لقد وصلتنا رسالة من أحد أصدقائنا – عالم متمرس – وجِدُ مُتمكن في كل ما يخص العرب.

---------- 23 ----------

هذا الصـــديق العزيز يدعونا لتدخين نرجيلة الصـــداقة في منزله (عاد من أنقرة)، ويضـــيف بطريقة الحاشية: سيأتي "بومعزة"!

وحق الله! ســنذهب، لأنه ســيكون شــيئا جميلا أن نســمع "بومعزة" إحدى حملاته التي يجب أن يرويها بشكل جيد.

لن يتمتع س.....[1] وحده بهذا الامتياز، لأن الجميع ســيريد أن يتحصـــل عليه. ســيرى "بومعزة" كل شيء: مجلس الشيوخ ومابييل، مجلس النواب والقلعة الحمراء، الأكاديمية والكوخ الكبير؛ سيرى مجدوليه، سيرى البورصــة، ســيلعب بورق اللعب، ســيكون له "لولا مونتيس" الخاصــة به، جد مســرورة، متمايلة، متزينة، ســوف يركض، ربما سيركض بنفسه، الخ، الخ.، الخ.، بكلمة واحدة، سينتقل "مولاي الساعة" لحالة المتفرج العادي.

ســـيريد الجميع معرفة هذا البطل الوحش، هذا الرســـول الغريب. ســـتذهل الحضـــارة الفرنســـية "بومعزة"، سيعرف كل كبيرتنا وصغيرتنا.

لقد كرهنا "بومعزة"، عدونا؛ سـنحب "بومعزة" سـجيننا. والآن لا يسـتطيع أن يكون معاديا لنا، وسـيفه يرتاح بهدوء في الغمد، دعونا نستنكر خطأه ونعجب بشجاعته وجرأته.

ماي 1847

انتهى.

[1] يشار في هذا المقطع الى شخصية غامضة بالحرف "س"، دون ان يذكر اسمها صراحة وقد يكون هذا مقصودا من طرف الكاتب لأسباب سياسة او امنية تتعلق بحساسية موقع الشخصية المشار اليها

المطلب الثاني: شرح المفاهيم الواردة فيه.

1. المصطلحات:

النبوءة: لغة: الإخبار عن الشيء قبل وقوعه حِزْرًا وتخمينًا[1]. واصطلاحًا: تُقصد بها الأخبار الغيبية التي أُوحي بها إلى النبيّ محمد ﷺ من أحداث مستقبلية، سواء وقعت في حياته، أو بعد وفاته، أو لم تتحقّق بعد. وهي من أركان الدين لدى مختلف طوائف المسلمين بإجماع، استنادًا إلى عصمة النبي ﷺ من الخطأ والنسيان، وأنّ ما ينطقه هو وحيٌ من الله، كما جاء في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. [2] لذا نؤمن – نحن المسلمين – بأنّ ما أخبر به النبي ﷺ من نبوءاتٍ غيبيةٍ هو من الوحي المتحقّق. ويُتناوَل في هذا التقرير نبوءةٌ من نبوءات النبي ﷺ، وهي نبوءة المهديّ المنتظر.

- مولاي: كلمة أصلها الاسم " مولى" ومعناه السيد و المالك.[3]
- هوميروسها: هوميروس: هو شاعر ملحمي إغريقي أسطوري يعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإغريقيتين الإلياذة والأوديسة. بشكل عام، آمن الإغريق القدامى بأن هوميروس كان شخصية تاريخية، لكن الباحثين المحدثين يُشككون في هذا، ذلك أنه لا توجد ترجمات موثوقة لسيرته باقية من الحقبة الكلاسيكية.[4] لنطق اسم الشاعر نفس طريقة نطق كلمة تعني "الرهينة" أو المرافق، المفروض عليه أن يتبع . وهذا بالأحرى معنى قول مارتينفال على أن بومعزة هوميروس الماعز. وكأنها رهينة لديه.

2. الشخصيات:

[1] أحمد مختار عمر: **نبوءة، معجم اللغة العربية المعاصرة**، المجلد الأول، ط1، عالم الكتب، 2008، القاهرة، مصر، ص 2153.

[2] القران الكريم: سورة النجم، الآيتان 3-4.

[3] مولاي، المعاني الجامعة،https://www.almaany.com اطلع عليه بتاريخ 11 ماي 2025، على الساعة 23:40.

[4] Encyclopaedia Britannica. (n.d.). Homer: Greek poet. In Encyclopaedia Britannica online. Retrieved mai19, 2025, from https://www.britannica.com/biography/Homer-Greek-poet

- شارل ريتشارد: ضابط وعسكري فرنسي تخرج من مدرسة البوليتيكنيكية في عام 1836ومن مدرسة ميلز التطبيقية في 1832، وأرسل إلى الجزائر في عام 1840هناك التحق بالسرية السابعة من الكتيبة الثانية ضمن فوج المهندسين الثلاث، بدأ خدمته العسكرية في مدينة بوجي (بجاية حاليا) حيث تولى مهمتين رئيسيتين: رئيس الهندسة ورئيس المكتب العربي هناك. أبدى ريتشارد اهتماما كبيرا بالشؤون العربية مما مكنه من جمع معلومات دقيقة ووفيرة عن المنطقة وسجلها في مذكرته وعلى الخريطة، كما ساعدته علاقاته المتكررة مع عائلة كابيليس على التميز وإبراز نفسه داخل الإدارة الاستدمارية، تم تعيينه فارسا في وسام جوقة الشرف في عام 1845. وفي العام نفسه أدت معرفته الخاصة باللغة وعادات السكان الأصليين إلى استدعائه بصفته رئيسا للمكتب العربي إلى أورليان فيل والذي أصبح تحت قيادة العقيد دي سانت أرنو وفي هذا المنصب الأخير نفذ الكابتن ريتشارد جميع حملات الظهرة ضد حملات بومعزة، وكان هو المؤرخ لهذه الحملات، وبعد استسلام بومعزة تم تكليفه بنقله إلى باريس في 1847، ساهم ريتشارد في توثيق الأحداث التي شارك فيها في كتاب عنوانه "انتفاضة سكان الظهرة" الذي صدر في عام 1847.[1]
- أرماند أوكتاف ماري، فيكونت ألونفيل: قائدٌ عسكريٌّ من مواليد جانفي 1809 بِهانوفر، ينحدر من أسرةٍ أَرِسْتُقراطيّة ذاتِ تقاليدَ عسكريةٍ عريقة، التحق بالجيشِ الفرنسيّ في سنٍّ مُبكِّر، وبرز في عدّةِ حملاتٍ عسكريةٍ ضدّ المقاوَماتِ الجزائريّة، أَبرزُها ضدَّ الأميرِ عبدِ القادر، ومعركةِ الشَّلَف. اكتسب سِمةَ أفضلِ ضابطٍ للجيشِ الإفريقي، وفي سنة 1853، ترقّى إلى رتبةِ جِنرال، وشارك في حربِ القرم. قاد القوّاتِ الفرنسيّةَ في عدّةِ معاركَ هامّة، منها في بالاكلَافَا. نالَ إثرَ ذلكَ العديدَ من الأوسمةِ مثل وسامِ جوقةِ الشرفِ الفرنسيّ. شاركَ في مجلسِ الشيوخ سنةَ 1865، وتوفّي القونفيل في سنة 1867.[2]

[1]L'illustration,op,cit,p01.
[2]Foucon,op,cit,pp 9-10.

- فرانسوا غيزو: من أبرزِ المفكّرينَ السياسيينَ والمؤرّخينَ في فرنسا، وُلِدَ في 1887 في نيم، لِعائلةٍ بروتستانتيّة. درسَ في جنيف، وشغلَ عدّةَ مناصبَ وزاريّةٍ في عهدِ الملكِ لويس فيليب، أَبرزُها وزيرُ التعليم، حيثُ أصدرَ قانونًا في 1833، أَلزَمَ البلدياتِ بإنشاءِ مدارسَ ابتدائيّة. تولّى رئاسةَ الحكومةِ في الفترة 1847-1848. اشتهرَ غيزو برؤيتِه للتاريخِ كمُحرّكٍ للحضارةِ الأوروبيّة، وقد برزتْ هذه الفكرةُ في كتابِه "تاريخُ الحضاراتِ في أوروبا". ومع سقوطِ الملكيّةِ الدستوريّة، انسحبَ من الحياةِ السياسيّة، وعادَ إلى الكتابة، تاركًا إرثًا غنيًّا من المؤلّفاتِ الفكريّةِ والتاريخيّة. تُوفّي في 1874.[1]
- مارغريت: جِنرالٌ عسكريٌّ فرنسيّ، وُلِدَ عامَ 1823. وبسببِ تعيينِ والده دَرَكيًّا في الجزائر عامَ 1831، اكتشفَ الطفلُ أفريقيا في سنِّ الثامنة. قضى فترةَ مراهقتِه في القُبّة (الجزائر العاصمة)، حيثُ كان والده متمركزًا. منذ الحاديةِ عشرةَ من عمره، وبإتقانِه اللغةَ العربيّة، عملَ مُترجِمًا ورافقَ الدَّرْك في مهامِّهم. وفي سنِّ الخامسةَ عشرةَ، انضمَّ إلى الدَّرْكِ المغاربيّ، وشاركَ في العديدِ من الحملات. أصبح بريغاديرًا في سنِّ السابعةَ عشرة، وقاتلَ طوالَ عامِ 1840. وفي سنِّ الحاديةِ والعشرين، عيَّنه سانت آرنو بالمكتبِ العربيّ بثنيّةِ الحَدّ.[2]
- أولاد ساسي: "هم عرشٌ كبيرٌ من أولاد نايل شراقة، يتميّزون ببداوتِهم إلى حدِّ نهارِ اليوم، وكانوا من القبائلِ التابعةِ لمشيخةِ العرب، تحتَ قيادةِ أولاد بن سعيد من الذواودة. وهم منتشرون حاليًّا غربَ ولايةِ بسكرة، على الحدودِ مع الجلفة، خصوصًا في دائرةِ سيدي خالد، وتُعتَبر أراضي بلديّتَي رأس الميعاد والبسباس أراضيَ

[1] Francois Guizot, Encyclopaedia Britannica, https://www.britannica.com/,Consulte le 19 avril 2025, à 1am.
[2] Auguste Margueritte, site de mémoire afrique du nord, http://www.memoireafriquedunord.net/ consulte le 12 mai 2025, à 1 am.

خاصّـــةً بانتشـــارِ فروعِ هذا العرش. ويُطلقُ ســـكّانُ المنطقةِ اسمَهم على بلديةِ رأس الميعاد، فقد كانتْ هذه البلدية تُسمّى بلديةَ أولاد ساسي قبلَ أن يتمَّ تغييرُ اسمِها في التقسيمِ الإداريّ بعدَ الاستقلال".[1]

- أولاد علي و أولاد دفلتن: هي عروش لمنطقة عمي موسى الواقعة على غرب جبال الونشريس.[2]

3. الأماكن:

- عين ميران: إحدى بلديات ولاية الشلف، تقع على بعد 45 كيلومتر شمال غرب مقر الولاية. يحدها من الجهة الشرقية بلدية الهرانفة ومن الغرب بلدية مازونة وسيدي امحمد بن علي ومن الشمال بلدية ناوقريت ومن الجنوب بلدية الصبحة. تتربع بلدية عين مران على سهل زراعي تقدر مساحته بحوالي 40 هكتار.[3]

[1] عرب أولاد ساسي، لصفحة قبائل الجزائر، https://tribusalgeriennes.wordpress.com/،تم الاطلاع عليه بتاريخ 15 ماي 2025، على الساعة 02:10 مساءا.

[2] عمي موسى، لمحة تاريخية، https://ammimoussa.fr،تم الاطلاع عليه بتاريخ 15 ماي 2025، على الساعة 02:00 مساءا.

[3] عين ميران، من أعماق عين ميران ، https://www.facebook.com، اطلع عليه بتاريخ 12 ماي 2025، على الساعة 00:13.

خاتمة الفصل:

من خلالِ ما تمَّ دراستُه في هذا الفصل، استطعنا الوقوفَ على أمرٍ هامّ، وهو أنَّ تقريرَ مارتينفال في شكلِه الظاهريّ، قدّمَ لنا أحداثَ مقاومةِ الشريف محمد ومسارَ نضالِه، وهو ما يجعلُه مادّةً تاريخيّةً قيّمة. ولكن عند التعمّقِ في مضمونِه، نجدُ أنَّ الكاتبَ لم يكن مُؤرّخًا بالمعنى الاختصاصيّ، بل هو مجرّدُ هاوٍ كتبَ تقريرًا رسميًّا دون تمحيصٍ للمعلومات، حيثُ اعتمدَ على الأسلوبِ السرديّ الأدبيّ الروائيّ، واستعملَ الخيالَ والوصفَ المبالغَ فيه.

افتقرَ التقريرُ إلى التحليلِ المعمّقِ لدورِ الشخصيّاتِ في المقاومة، واكتفى بذِكرِها فقط، كما اعتمدَ على الخطابِ الفرنسيّ في أسلوبِه، وسعى لإصدارِ أحكامٍ على بومعزة من منطلقاتٍ أخلاقيّةٍ دينيّة، وليس من خلالِ تحليلٍ موضوعيٍّ علميّ، وذلك ليتماشى مع الرؤيةِ الفرنسيّة.

الفصل الثالث:

مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من خلال تقرير مارتينفال: بين الحقيقة و التحريف.

المبحث الأول: ذكره لسيرته.

1. نشأته.
2. كنيته.

المبحث الثاني: مساره النضالي.

1. الحملات العسكرية (1845-1847).
2. علاقته مع الأمير عبد القادر.

المبحث الثالث : نهاية الكفاح.

1. استسلامه.
2. بومعزة في باريس.

تمهيد:

يُعتبَر تقريرُ الضابطِ مارتينفال من بينِ أهمّ الوثائقِ التي تُسلّطُ الضوءَ على ثورةِ الشريف بومعزة سنةَ 1845م، وهو مصدرٌ فرنسيٌّ يعكسُ نظرةَ الإدارةِ الاستدماريةِ الفرنسيةِ إلى هذه المقاومة. غيرَ أنَّ هذا النوعَ من الوثائقِ لا يخلو من الانحيازِ والتشويهِ المقصودِ أو غيرِ المقصود، لذا نسعى في هذا الفصلِ إلى تحليلِ مضمونِ التقرير، وتحرّي مدى مطابقتِه للواقع، من خلالِ المقارنةِ بين معطياتِه وما توفّرَ من معطياتِ مصادرَ أخرى عربيةٍ وفرنسيةٍ، وتحديدِ جوانبِ الحقيقةِ والتحريفِ المحتملةِ فيه.

المبحث الأول: ذكره لسيرته.

1. نشأته:

لفتَ انتباهَنا أنَّ مارتينفال يستهلُّ عرضَهُ لـ بومعزة بعبارةٍ تُدينُ فرنسا قبل أن تُدينَ خصمَها، بقولِه: "إنّ اسمَه يرتبطُ بجزءٍ من تاريخِنا الدمويّ في أفريقيا.."

فرغم أنَّ الجملةَ تُقِرُّ صراحةً بوحشيّةِ السياسةِ الفرنسية ("تاريخِنا الدمويّ")، فإنّ التقريرَ لا يستثمرُ هذا الاعترافَ لمراجعةِ مشروعيةِ الاحتلال، بل يلتقطُه سريعًا ليحوّله إلى خلفيّةٍ دراميةٍ تُبرزُ خطرَ بومعزة، وكأنّ العنفَ الاستدماريَّ مجرّدُ مسرحٍ اضطراريّ خرجَ منه بطلٌ مغامر.

هكذا يُمارس مارتينفال حيلةً خطابية، كأنَّ الاعترافَ بوحشيّةِ الاحتلال يخلقُ انطباعًا زائفًا بالصدقِ التاريخيّ، فيُوهِمُ القارئَ بأنَّ الكاتبَ موضوعيٌّ.

جاء في تقريرِ مارتينفال أنَّ بومعزة "... يندرجُ من أصولٍ مغربية"[1]، وهذا هو المتّفقُ عليه في الكتاباتِ الفرنسيةِ والعربية؛ أصولُه تعودُ إلى المغرب الأقصى.

ومن بينها ما أورده إدوارد دونوفو (Edouard de Neveu) في كتابه الإخوان[2]، إذ أشارَ إلى أنَّ أصولَ الشريف بومعزة تعودُ إلى المغرب الأقصى، وقد استندَ في هذا الادّعاء إلى استنطاقٍ أجراه مع شخصٍ

[1] Eugène de Martinval: op, cit, p09.

[2] ظهر عام 1845، قدم فيه رؤية جديدة لطبيعة المقاومة الجزائرية، مؤكدا على الدور المحوري للطوائف الدينية المسلمة في التصدي للغزو الفرنسي، وكاشفا عن جهل السلطات الاحتلالية بالتركيبة الاجتماعية للجزائر. واعتبر "دو نوفو"، العضو في اللجنة الأفريقية ورئيس مصلحة الجيوديسيا، أن الطرق الصوفية، وخاصة الدرقاوية والرحمانية المعاديتين لفرنسا، كانت المرجعية التاريخية والمحرض الأساسي للثورات، وذلك رغم عدم توضيحه لمصادر معلوماته. (انظر: موسى العاشوري و أيوب شرقي: **الدراسات الفرنسية بالجزائر للظاهرة الدينية للطرق الصوفية للحد من نشاطها الثوري أواخر القرن التاسع عشر**، مجلة قضايا تاريخية، العدد17، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، جوان2012، ص54).

قيل إنّه أخو بومعزة، بعد القبضِ عليه في منطقة بني مناصر التابعةِ لـ بني زوق، حيثُ ذَكَرَ أنَّ اسمَه الحقيقيَّ هو محمد بن عبد الله، وأنّه من تارودانت بـ المغرب الأقصى[1]. .

من أبرزِ مظاهرِ التحريفِ التي يتضمّنُها تقريرُ مارتينفال ادّعاؤُه أنَّ الشريف بومعزة «جاءَ واستقرَّ وهو طفلٌ في الظهرة»، يكمنُ وراءَ هذا الزّعمِ محاولةٌ مغرضةٌ لتقديمِه كشخصٍ غريبٍ عن المجتمعِ الجزائريّ. غير أنَّ هذا الادّعاءَ تُفنّده المصادرُ التاريخيةُ، خاصّةً العربيّة، بحيثُ تُؤكّد على أصولِه الشريفةِ المغربيّة، مع الإشارةِ إلى استقرارِ عائلتِه في الجزائر، بمنطقةِ الشلف تحديدًا، قبل عقودٍ من الغزوِ الفرنسيّ عامَ 1830.

حيثُ يُصرّح يحيى بوعزيز في هذا الصددِ في كتابه: "بأنّه محمد بن عبد الله، ينتمي إلى قبيلةِ أولاد خويدم في حوض الشلف، وتعودُ أصولُ أجدادِه إلى تارودانت بـ المغرب الأقصى، وشبَّ في وسطٍ دينيٍّ لارتباطِ أهلِه بالطريقةِ الدرقاويّة الطيّبيّة"[2].

ويُوافقُه هنري غارو حين قال: "إنّ الشريف محمد بن عبد الله بن وداح بن عبد الله، ينتسب إلى أولاد خويدم في حوض الشلف، وأصلُ عائلته من تارودانت بجنوب المغرب الأقصى، استقرّ أجدادُه منذ وقتٍ مبكّر في منطقة أولاد يونس بـ جبال الونشريس، وينتمي هو إلى الطريقةِ الطيّبية الدرقاوية، نسبةً إلى مولاي الطيّب بالمغرب الأقصى".[3]

إنّ هذا التشويهَ المتعمَّدَ لأصلِ بومعزة يدخلُ ضمنَ استراتيجيةٍ استدماريّةٍ هدفُها نزعُ الصفةِ الوطنيّةِ عن رموزِ المقاومة، وتشويهُ ارتباطِه بالأرضِ والشعب، من خلالِ وصفِه كـ وافدٍ أو غريبٍ اختارَ لنفسِه زوجةً من أولاد يونس[4]، لإيجادِ نفسِه، عبرَ رابطةِ المصاهرةِ والدم، انتماءً للمنطقة[5] ، مُقدّمًا إيّاه بصورةٍ انتهازيّة تُفرغُ

[1] حباش فاطمة: المرجع السابق، ص 104.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص157.

[3] Henri garrot : op, cit, p-p 864 – 866.

[4] Eugène de Martinval: op, cit, p 09.

[5] Jaques Frémeaux, **Les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête**, Denoel, Paris, 1993, p115.

مقاومتَه من أيّ مضمونٍ وطنيّ أو دينيّ حقيقيّ، محاولًا تقويضَ شرعيّتِه السياسيّةِ والاجتماعيّة، وقطعَ الصّلةِ بينه وبينَ المجتمعِ المحليّ، خاصّةً وأنّ قيادةَ المقاومةِ في تلك المرحلةِ كانت تعتمدُ بشكلٍ كبيرٍ على الشرعيّةِ الدينيّةِ والاجتماعيّة المرتبطةِ بالنسبِ الشريفِ والانتماءِ المحليّ، وأيضًا تقديمُه كعنصرٍ دخيلٍ يُسهّلُ على السلطاتِ الاحتلاليةِ تبريرَ حملاتِ القمعِ والعنفِ ضدَّه وضدَّ أتباعِه، فالغريبُ يُنظَر إليه كتهديدٍ للنظامِ والاستقرار.

2. كنيته:

أ. المهدي المنتظر:

ذهب مارتينفال في تقريره إلى أنَّ بومعزة ادّعى النبوءة، وقدّم نفسه على أنّه المهدي ومولى الساعة، مستغلًّا جهلَ القبائلِ التي تؤمنُ بالخرافاتِ والكرامات، فلجأ إلى فكرةِ المهدي كخدعةٍ لتحريضِ الجماهير، حيث كانت مقاومتُه – بالنسبة لمارتينفال – ذاتَ طابعٍ دينيٍّ متعصّب، سعيًا نحو السلطة، ولم تكن بدوافعَ وطنية.

تقومُ الحركةُ المهداوية على ظهورِ مسيحٍ في آخر الزمان يقودُ المعركةَ الكبرى والأخيرة التي ينتصرُ فيها على العدوّ، ويُغيّرُ العالمَ من الظلمِ والفساد إلى العدالة.[1]

وقد ارتبطَ هذا المفهومُ لدى الطرقِ الصوفية، استنادًا إلى قولِه – صلى الله عليه وسلّم –: «المهديُّ من عترتي من ولدِ فاطمة»، وقال أيضًا: «لو لم يَبقَ من الدنيا إلا يومٌ، لطوَّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتى يبعثَ اللهُ رجلًا منّي – من أهلِ بيتي – يملأ الأرضَ قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا».[2]

[1] محمد غانم: **ظاهرة المهدي المنتظر في المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين**، مجلة انسانيات، العدد11، الجزائر، ماي-أوت2000، ص-ص 11-22.

[2] **سنن أبي داوود**: تحقيق محمد محي الدين عبد الله، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (د،ت)كتاب المهدي، حديث رقم"4282"/"4284"، الجزء الرابع، ص-ص 106-107.

لعبت بعضُ الطرقِ الصوفية دورًا محوريًّا في ظهورِ مثلِ هذه الحركات التي أثّرت في فكرِ الشعوب من خلالِ رواياتِهم عن المهديّ المخلّص، وتم ربطُ هذه الفكرةِ – من قِبل البعض – بالمقاوماتِ والانتفاضاتِ الشعبيّة، حيث استُعملت كوسيلةٍ ذات طابعٍ سياسيٍّ لمحاولةِ تغييرِ النظامِ الاستدماريّ السائد، إذ ظهرت هذه الحركةُ في الجزائر خلال القرن التاسع عشر. [1]

ففي سنة 1845، بعد انتفاضةِ قبائل الظهرة ضدّ المحتلّ، تم إطلاقُ لقب "مولى الساعة" على الشريف محمد بن عبد الله، وهي كنايةٌ عن المهدي المنتظر، حيث اعتُبرَ شخصيةً روحيةً توفّرت فيها كلُّ الصفات: النسبُ، والشرفُ، والكراماتُ، والمخلّصُ السياسيّ من ظلمِ الاحتلال. ووفقًا لهذه الصفات، نُسبَت إليه صفةُ المهديّ المنتظر في سياقٍ شعبيٍّ اجتماعيٍّ، أطلقها عليه أتباعُه ومحيطُه. [2]

فالتحليلُ التاريخيّ يُثبت أنّ الشريف محمد بن عبد الله استجاب للظروفِ الاجتماعية والسياسية، إذ لا توجدُ مصادرُ تاريخيّةٌ موثّقةٌ يُصرّحُ فيها بأنّه المهدي، حتى من خلال الروايات الشعبية، كالتي تناولها ريتشارد في كتابه انتفاضة الظهرة، حيث ورد أنَّ الشريف بومعزة محصَّنٌ ضد الرصاص والأسلحة البيضاء؛ فقد حاول أحد أتباعه اختبارَ صدقه، فأطلق النار عليه ثلاثَ مراتٍ من مسدّس، إلا أنّ الرصاصَ لم يخرجْ في أيّ محاولة، ما دفعه إلى رمي السلاح والارتماء عند قدمَيْ بومعزة صارخًا أنّه معجزة. فانتشر هذا الخبرُ العجيب على نطاقٍ واسعٍ، كدليلٍ على الرسالة الإلهية لبومعزة. [3]

وبفضلِ الظروفِ والوعي الشعبيّ، الذي كان يتوقُ لظهورِ مولى الساعة من جهة، ومن جهةٍ أخرى الطريقةِ الطيّبيّة التي اعتُمدت علامةً على الولاية، صدّق بومعزة أنّه مكلّفٌ بمهمّةٍ روحية، ومن خلال ردِّ فعلِه أثناءَ هذه

[1] غانم محمد : المرجع السابق، ص-ص 11-22.

[2] Mouloud Haddad, op, cit, p-p 49-61.

[3] Charles Richard, op, cit, p-p 22-23.

الحادثة – رغمَ عدم تصريحِه بأنّه صاحبُ كراماتٍ أو المهديّ – فإنّ سلوكَه وهدوءَه، وعدمَ نفيهِ لما نُسِبَ إليه، أكّدَ ذلك.

بالإضافة إلى أنَّ الفرنسيين بدورِهم ضخّموا تلكَ الصورةَ لأغراضٍ سياسيّة، بهدف تحويله من قائدٍ دينيٍّ عسكريٍّ إلى شخصيةٍ أسطوريّة، حيث نُشِرَ في جريدة جورنال دي ديبا (Journal des Débats) سنة 1845، بعد اعتقال أخيه، أن بومعزة تلقّى رسائل من شخصيّاتٍ بارزة، مثل السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان، والحاج عبد القادر، ومن السلطان العثماني والتونسي، تُفيد هذه الرسائل بأن بومعزة هو صاحب الساعة، وتحثّه على مواصلةِ المقاومة ضدّ الفرنسيين. [1] فبالرغم من محاولاتِ السلطات الفرنسية تصويرَه كمدّعٍ للنبوّة – من خلالِ اعترافِ أخيه كدليل – إلا أنَّ هذا لا يُثبت أن بومعزة ادّعى المهداويّة، بل هو جزءٌ من سياسة التشويه المنهجية التي اعتمدها الاحتلال الفرنسي ضدّ رموز المقاومة الشعبية.

وقد استندت شخصياتٌ فرنسيةٌ – مثل شارل ريتشارد – إلى هذه الروايات، معتبرين أن بومعزة مدّعٍ، بهدف ضربِ الشرعيةِ التاريخيّة والدينيّة للمقاومة، [2]وتشويهِ بومعزة، وتحويلِه إلى شخصيةٍ أسطوريّة. فما نعرفُه الآن عن بومعزة لا يتعدّى كونه شخصيةً أسطوريةً ممزوجةً بالحقيقة، تمّ نقلُها عبرَ هذه المصادرِ التي اعتمدت على رواياتٍ مكرّرة ومبالغٍ فيها، حتى أصبحت صورة نمطيّة تُسقَط على كلِّ مقاومٍ مجهولِ الهويّة والأصل. فلو لم يُعتقل بومعزة ويَرَهُ الناسُ ويُخاطبوه، لتمّ دمجُه ضمن الرموزِ الأسطورية، كما الحال مع بوبغلة، وبوعود، وبوشوشة. [3]

فبظهور بومعزة ظهرَ أسلوبٌ جديدٌ في المقاومة: "منقذُ الشعب"، فلم يعُد الأمرُ تنفيذًا لقاعدةٍ دينية، وإنّما اكتسب شكلًا وطنيًّا بروحٍ دينية. وقد اتّبعه أفرادٌ لم يُعرَفوا بتديّنهم، بل بتعلّقهم بأراضيهم.

[1] Mouloud Haddad, op, cit, p-p 49-61.

[2] الحسين يختار: المرجع السابق، ص05.

[3] أبو قاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)**، المرجع السابق، ص290.

وقد اكتسب مكانتَه بين القبائل والسكان برفضِه للاحتلال، وليس بورعِه، ونجحَ في حثّهم على الجهاد، نظرًا لاستعدادهم، وما كان له أن ينجح في ذلك، لولا روح التمرّد والعصيان. كما ساهمت الظروفُ في ذلك، وهذا ما يثبت أن الصوفية لم يكن لها دورٌ جوهريّ[1]، وإنّما كانت ثورةً وطنيّةً شعبيّة.

وهذا ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله، حيث رفضَ ربط ثورة 1845 بالطريقة الطيبية، وبفكرة المهدي المنتظر، خاصّة وأنّ بعضَ زعماء الطيبية في تسعينيّات القرن الماضي كانوا متعاونين مع الاحتلال، واستُعملوا كوسيلةٍ لتضليلِ الشعوب[2]. فثورة بومعزة كانت ثورةً وطنيّةً سياسيّةً أكثر منها دينيةً صوفيّة، وكانت ضدّ الأوضاعِ التعسفيّة والقمعيّة السياسيّة، ونتيجةً لأوضاعٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ عانى فيها الشعبُ من قلّةِ الأرزاق، ومن الفقر، ومن ثقلِ الضرائبِ المجحفة. فحاجةُ المجتمعِ لمنقذ، بسببِ الظروف الاستدماريّة، تمّ على ضوئها إسقاطُ صفةِ المهدي المنتظر عليه، واعتبارُه قائدًا شعبيًّا ومقاومًا، وهذا ما شكّل تهديدًا حقيقيًّا للوجودِ الفرنسيّ.

فالشريف محمد بن عبد الله لم يدّعِ المهداوية من باب الطموح الشخصيّ، ولا من أجل الوصول إلى السلطة، لكن مكانتَه الدينية، وانتسابَه للصوفية، وشخصيتَه القيادية، مع الظروفِ التي كانت تسود البلاد، جعلت منه مُخلِّصًا في نظر الشعب و"مولى الساعة"، المهديّ المنتظر.

[1] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص،ص 352،353.

[2] أبو قاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)**، المرجع السابق، ص 292.

ب. سبب تسميته بـ "بومعزة":

كان يُقاسِم بومعزةُ وَحدتَه مَعزَةً، اهتمَّ بتربيتها وتغذيتها، وكان يصطحبها أينما ذهب، وجعل من حليبها غذاءً له، وهذا ما جعل الناس يُلقِّبونه بـ"بومعزة."[1]

يعرض الضابطُ الفرنسيُّ مارتينفال هذه الحكايةَ التي مفادُها أنَّ عنزةً كانت تتبعه وتَدرُّ الحليبَ له ولأتباعه، بأسلوبٍ ساخرٍ، ويَصِفُها بأنّها "خُرافةٌ"[2] ليستْ حتى ذاتَ أصالةٍ، وأنها "مدوَّنةٌ عند اثنين أو ثلاثةِ شعراءَ شرقيّين"[3]، ممّا يُعكِسُ استخفافَه بالموروثِ الشعبيّ العربيّ والإسلاميّ.

المبحث الثاني: مساره النضالي:

1. الحملات العسكرية (1845-1847):

من خلالِ تقريرِ مارتينفال، نجدُ أنّه عرضَ الحملاتِ العسكريّةَ دون التفصيلِ فيها، وكان تركيزُه على الخلافاتِ، وتصويرِ بومعزة كمتمرّدٍ يَستعملُ الأسلوبَ الهَمَجيَّ، فبالرغمِ من اعترافِه بقوّتِه وخُطورته، إلّا أنّه ركّز على هزائمِه المتكرّرةِ.

استهلَّ بومعزةُ بدايةَ جهادِه من أولادِ يونسَ بعد أن نجح في جمعِ 500 رجلٍ مُسلّحين بشكلٍ مناسبٍ، ثمّ توجَّه إلى "أورليان ڤيل"، حيث خاض أوّلَ معركةٍ في 14 أفريل 1845 بعينِ ميرانَ على جبلِ كروناسة، وانهزم هناك.

[1] يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، المرجع السابق، ص294.

[2] Eugène de Martinval: op, cit, p 11.

[3] ibid.

توجّه بومعزةُ إلى الظهرةِ لدعوةِ القبائلِ للجهادِ[1] وحثِّهم على حملِ السلاحِ، كما أنّه لم يتسامح مع حُلفاءِ فرنسا، خاصّةً أولئك الذين تمَّ تقليدُهم المناصبَ العُليا مثل القيّادِ والأغاواتِ، منهم القايدُ صَبيح بلقاسم، الذي قام بمعاقبته وقتلِه بسببِ تواطئِه مع القواتِ الفرنسيةِ، ومساعدتِهم في محاربتِه.[2] بعدها اتّجه بومعزةُ إلى مازونةَ للقضاءِ على أغا الونشريس حاجّ أحمد أغا، الذي كان في مَوكبِ عُرسٍ لتكريمِ زوجةِ ابنِه المستقبلية، وبسببِ تهاونِه في أخذِ الحيطةِ، حيث كان معه حوالي 150 فارسًا فقط، من بينهم عددٌ من القيّادِ وغيرُهم من الشخصيّاتِ المهمّة، كما كانت معه نساءُ العائلةِ، فلم يُفوّتْ بومعزةُ هذه الفرصةَ في الانتقامِ من ألدِّ أعدائِه، أحدِ أكبرِ أعوانِ فرنسا، وقام بقتلِه مع عددٍ من مرافقيه، وانتزاعِ أمتعتِه وحمولتِه وجيادِه.[3]

استطاع بومعزةُ، من خلالِ عمليّاتِه العسكريّةِ، استعمالَ أسلوبِ الكرِّ والفَرِّ، نظرًا لمعرفتِه الدقيقةِ بتضاريسِ المنطقةِ ومسالكِها، وهذا ما يُظهِرُ مدى ذكائه في إرباكِ القواتِ الفرنسيةِ، حيثُ حرّكت ضدَّه ثلاثةَ أرتالٍ، الأمرُ الذي جعله يُفلِتُ بصعوبةٍ منها، ولكن قُتِلَ شقيقُه وعددٌ من أنصارِه، وفقد أمتعتَه.

ظهر مرّةً أخرى في أولادِ يونسَ على رأسِ مئةِ فارسٍ، وبعد عدّةِ أيّامٍ، قام المقدَّمُ دالونڤيل بالتوجّهِ إلى أولادِ يونسَ برفقةِ جنودِه لمفاجأتِه، ولكن استطاع الشريفُ بومعزةُ الفِرارَ مع زوجتِه بعد تحذيرِه، ولم تتمكّنِ الأرتالُ الفرنسيةُ الثلاثةُ من إيجادِه.[4] وفي 10 نوفمبر 1845، عسكر في المغاراتِ، ثمّ انتقل إلى شرقِ تنسَ، وأخذ طريقًا إلى الأصنامِ لمهاجمتِها، ثمّ انتقل إلى حوضِ وادي سيدي إبراهيمَ، وعسكر هناك، حيث خاض عددًا من المناوشاتِ، فقد خلالها أمتعتَه وأسلحتَه.[5]

---

[1] E. Pellissier de Reynud**, Annales Algériennes**, tome 1, Librairie Militaire, J, Dumain, alger, Librairie Bastide, Paris, 1854, p-p164-164.

[2] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)**، المرجع السابق، ص293.

[3] Berard .M.JH.P.L, **Les deux villes de tnes et bou maza**, Challamel Aine Librairie, Paris, 1864, p78.

[4] M. De Monte Rond, **Conquete De L'algérie De 1830 à 1847**, Tome 2, Paris, Imprimerie de marc aurel Editeur, 1847, p 368.

[5] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، المرجع السابق، ص198.

لقد أثارت نجاحاتُ بومعزةَ حشدًا من المقلّدين له، نظرًا لقوّةِ مقاومتِه، بهدفِ استقطابِ الناسِ إليهم، حيثُ تمّ إلقاءُ القبضِ على أحدِهم في نواحي بني زوق زوق ابني مناصر، الذي خاض مع القواتِ الفرنسيةِ قتالًا عنيفًا، وتمّ القبضُ عليه وتقديمُه للمحكمةِ العسكريّةِ، وحُكِم عليه بالإعدامِ في 22 سبتمبر.[1] حيث قام أثناء محاكمتِه بالاعترافِ لأحدِ القضاةِ أنّه شقيقُ بومعزةَ، المولودُ في المغربِ، واعترف بانتمائِه إلى جماعةِ مولاي الطيّب، وعندما سأله رئيسُ مجلسِ الحربِ عن سببِ مشاركتِه، وهو أجنبيٌّ، في ثوراتِ الجزائرِ، أجابه: لإعلاءِ شأنِ ديننا الحنيف.[2]

وقد تكون أحداثُ هذهِ المحاكمةِ التي تمَّتْ بطريقةِ ريفيقو وبيجو ما هي إلَّا مسرحيّةً من تأليفِ الإدارةِ الفرنسيّةِ بالجزائر، والتي ظهر فيها الفسادُ، وأنَّ ما يُقالُ عن استسلامِ العربِ وقادتِهم ما هو إلَّا لنيلِ الأوسمةِ والتحدُّثِ بالبطولات.[3]

بالإضافةِ إلى ذلك، يرسمُ التقريرُ صورةً متناقضةً للشّريفِ بومعزة؛ فمن جهةٍ يعترفُ بقدراتِه القياديّةِ، واصفًا إيّاهُ بـ"الرّجلِ الخطيبِ والمحنَّكِ في تحريضِ الجماهير". ومن جهةٍ أخرى، يطعنُ في شرعيّتِه الدينيّةِ، معتبرًا أنَّ نَسَبَهُ الشّريفَ مجرّدُ ادّعاءٍ لاستغلالِ جهلِ القبائلِ، متجاهلًا الدّعمَ الشعبيَّ الكبيرَ الذي لَقِيَهُ بومعزةُ، مُقَلِّلًا من عُمقِ الارتباطِ بينه وبينَهم، حيثُ نجدُ أيضًا أنَّ شهاداتِ بعضِ الضبّاطِ من أرشيفاتٍ فرنسيّةٍ تُقِرُّ بصعوبةِ القضاءِ على المقاومةِ بسببِ التحامِ القائدِ بالشّعبِ، وقد اعترفوا بتوسّعِ تأثيرِ بومعزة أكثرَ ممّا اعترفَ به مارتينفال، ومنهم الجنرال هريبون الذي اضطُرَّ أن يخرجَ بحملةٍ قويّةٍ ويُطاردَ أولاد نائل.[4]

[1] M. De Monte Rond, op, cit , p369.
[2] E.perret, op, cit, p,p 397,398.
[3] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية (1830–1900)**، المرجع السابق، ص293.
[4] صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)**، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، ص231.

ففي سنةِ 1845 كتب سانت آرنو: «بومعزة عدُوّي كالظلِّ، يُعاوِدُ الظّهورَ للمرّةِ الثالثةِ في الظهرة، بدأ بقتلٍ واستقبالِ رميّاتِ البندقيّة... أبقى في السهلِ وأتوجّه نحو جديوية السفلى قريبًا من الشلف، فأجدُ أمامي بومعزة مع ألفَيْنِ من الفرسانِ وثلاثةِ آلافِ فنتازي، لقد كنتُ في فمِ الذئبِ».

وفي سنةِ 1846 كتب: "بومعزة تُوبعَ وتُرصّدَ من مكانٍ إلى آخر، ولكنّ الشيءَ الجميلَ في القضيّةِ هو أنَّ بومعزة أُصيبَ برصاصةٍ كسرتْ ذراعه".[1] بالتالي، يتّضحُ أنَّ مارتينفال لم يكن ناقلًا موضوعيًّا للأحداثِ، بل كان يُؤطِّرُها في سياقٍ يخدمُ رؤيةَ الاحتلالِ. هذا التقريرُ يُظهِرُ بومعزة كزعيمٍ محلّيٍّ يسهلُ القضاءُ عليه، وهو ما يُكَذِّبُهُ استمرارُ المقاومةِ لعدّةِ أشهرٍ، وامتدادُها إلى مناطقَ واسعةٍ.

2. علاقته مع الأمير عبد القادر:

حاول الضابطُ يوجين دو مارتينفال Eugène de Martinval إنكارَ وجودِ أيِّ تنسيقٍ أو تواصُلٍ أو تحالفٍ بين الشّريفِ بومعزةَ والأميرِ عبد القادر، وذلك عبر تقديمِ روايةٍ تنطوي على إهانةٍ شخصيةٍ ورفضٍ قاطعٍ من طرفِ الأميرِ لأيِّ شكلٍ من أشكالِ التعاونِ. يقولُ مارتينفال في هذا السياق: «إنَّه كان من المستحيلِ أن يتفاهمَ رجلُ القوّةِ الغاشمةِ والملهمُ من الله لفترةٍ طويلة... لم يقبل عبد القادر إعطاءَ حصانٍ لبومعزةَ. وكان يعني هذا: ما حاجتي لتحالفك؟ انسحب مع رجالِك ودعني أتصرف كما يحلو لي... بومعزةُ، الذي ظنَّ أنّه لا يستطيع الاستغناءَ عن عبد القادر، استمرَّ في اتباعِه رغم الإهانة».[2] مشيرًا إلى أن العلاقةَ التي جمعت بين الأميرِ عبد القادرِ والشيخِ بومعزةَ هي علاقةُ عداوةٍ، وأنكرَ وجودَ تحالفٍ بين الاثنين.

في حين يُشيرُ الجنرالُ مونتودون Montoudon إلى وجودِ تواصُلٍ بين الأميرِ عبد القادر وبومعزةَ، موضّحًا أنَّ القواتِ الفرنسيةَ ألقت القبضَ عام 1845 على ثلاثةِ أفرادٍ كانوا يحملون رسائلَ من الأميرِ

[1] Eugène de Martinval, op, cit, p16.
[2] ibid, p17.

إلى بومعزة.[1]كما أشار سانت آرنو أيضًا إلى أنَّ بومعزةَ انضمَّ إلى الأميرِ عبد القادر، وصار من رِجالاتِه، وهو من كان يُروِّج لذلك في مختلفِ القبائل،[2] وذكر فالي أيضًا أنَّ بومعزةَ التحقَ بالأميرِ عبد القادر بعد الجروحِ التي تعرَّض لها نهايةَ سنة 1845، ووصل معه حتى الحدودِ المغربيّةِ، ثم افترق عنه بعد أن تبعَه جزءٌ من دائرةِ الأميرِ، حيث رجع إلى الظهرةِ سنة 1846 لمواصلةِ مقاومةِ الاحتلالِ.[3]

ما لفتَ انتباهَنا أنَّ خطابَ مارتينفال ركّز على النزاعاتِ الشخصيّةِ لإضعافِ صورةِ المقاومةِ، وتحويلِها من حركةِ تحرّرٍ جماعيةٍ إلى صراعاتٍ داخليةٍ مُفرغةٍ من بُعدِها الوطنيّ، وفي هذا الإطارِ يُقدّمُ بومعزةَ كشخصيّةٍ تابعةٍ للأميرِ، لكنها تُعاني من الرفضِ والإهانة، ما يعني ضمنيًّا إضعافَ شرعيّته الذاتيةِ وتأثيرَه الحقيقيَّ، ليظهرَ كظلٍّ باهِتٍ لقائدٍ أكبرَ منه، وهو ما أتبعَه أنَّ الأميرَ قام بتزويجِ قائدِ جيشِه بزوجةِ بومعزةَ[4] ، الذي لم تعُدْ له بعدَ ذلك أيُّ ثقةٍ في الأميرِ، فتوجّه إلى بوسمعون، وبعد فترةٍ غادر البلادَ إلى تونس، التي تزوّج فيها من إحدى بناتِ القبيلةِ التي آوته، والتي كَثُر عليها الضغطُ لتُخرجه من البلد، فعاد إلى الجزائر. فنُشيرُ هنا إلى أنَّ كثيرًا من الفرنسيين تحدَّثوا عن الخلافِ بين بومعزةَ والأميرِ عبد القادر، ولم يأتوا على ذكرِ قصةِ التزويجِ القسريّ هذه. [5]

حيثُ ذكر ليون بيلي Léon Plée في كتابه: "عبد القادر، جنودنا، جنرالاتنا، وحرب إفريقيا" أنَّ سببَ الخلافِ بين الأميرِ عبد القادر وبومعزةَ يعود إلى رغبةِ هذا الأخيرِ بالاستقلاليّةِ في القيادةِ خارجَ دائرةِ الأميرِ، وعدمِ الخضوعِ لسلطتِه، رغمَ وحدةِ هدفِهما في مقاومةِ الاحتلال الفرنسيّ، فكان هناك تبايُنٌ في الاستراتيجيةِ القتاليّةِ بين القائدَين، رغمَ تعاونِ بومعزةَ مع الأميرِ في بعضِ الأحيان. وهذا ما سبَّب التوتُّر بينهما، فقد كان الأمير معروفًا بتنظيمه العالي وتخطيطه العسكري الدقيق الذي يُمثِّل العبقرية العربية، كان يُفكِّر في الحفاظ على قواه لأطول

[1] Mantoudon Général, **Souvenirs militaires, Afrique, Crémée, Italie**, Tome 1, Librairie Ch. Delagrave, Paris, 1898, p113.

[2] العربي بلعزوز: المرجع السابق، ص08.

[3] نفسه، ص08.

[4] Eugène de Martinval: op, cit, p17.

[5] كمال صحراوي: المرجع السابق، ص60.

مدَّة ممكنة، عكس بومعزة الذي كان قائدًا محلِّيًّا ذو طبيعة اندفاعيَّة، لا يعرف الكلل، يرى الهجوم في حدِّ ذاته مقاومة، ولو كان الثمن كبيرًا، حيث لم يتمكَّن من التعامل جيّدًا مع الإحباط الذي كان يسيطر على الأمير، والذي كان يُخفِيه بعد مذبحة 27 أفريل تحت ستار السياسة والحكمة، فحاول بومعزة قيادته نحو هجوم جديد، إلا أنَّه رَفَض دعمه.[1]

فالخلاف كان قياديًّا أكثر من كونه شخصيًّا، ويَبقَى طرحًا وحيدًا ورد في تقرير مارتينفال. كما أن بومعزة، خلال تواجده في فرنسا، وبعد وضعه تحت المراقبة في بريست، كتب إلى نابليون الثالث للسماح لزوجته بالحضور والانضمام إليه، لكنَّه رَفَض، وهذا ينفي خلافه مع الأمير بشكل شخصي، كما أظهرت رسائله تلك التي وردت في كتاب لابيست، والتي قام فيها بمراسلة صِهره مصطفى بن زيَّان، وطلب منه أن يُرسِل زوجته للعيش مع عائلته بأكملها، وهذا بطلبٍ من الملك لمنحه الأمان.[2] هذه الرسالة تُظهِر عدم دقَّة فرضيَّة العداء المستمر بسبب حادثة الزواج.

لكن، بالرجوع إلى المصادر التاريخية العربية وبعض الدراسات الأكاديمية، نلاحظ وجود تنسيق ظرفي وتحالف تكتيكي بين الرجلين، لا سيما في مراحل متقدِّمة من المقاومة. وحتى في حال وجود خلافات أو تباينات في الرؤى، فإنها لا تعني بالضرورة العداء، وهذا ما أشار إليه كمال صحراوي: «إنَّه نظرًا لوجود نقاط التقاء بين الأمير وبومعزة، فإنَّ خلافًا وقع بينهما، لكن محمَّد ابن الأمير وقف موقفًا سلبيًّا من بومعزة، واتَّهمه بالاحتيال على الناس، وهذا ما منح فرصة لكاتب فرنسي يُدعى مارتينفال ليَهمِز ويَلمِز».[3]

[1] Plée Léon, **Abd el-kader ,nos soldats, nos généraux et la guerre d'Afrique**, Gustava Barba, Paris, 1866, p63.
[2] La Passet, op, cit, p98.
[3] كمال صحراوي: المرجع السابق، ص-ص 59-60.

كما يشير أيضًا أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية في هذا الصدد أنَّ بومعزة التقى مع الأمير عبد القادر، لكن لم يتَّفقا في نقطة معيَّنة، لكنَّ الأمير لم يُحاربه كما حارب الحاج موسى الدرقاوي، بل تركه في جهاده، ربَّما باتفاقٍ سرِّيٍّ معه. [1]

ثم لو كان بين الرجلين ما ادَّعاه مارتينفال، كيف لبومعزة أن يتوجَّه فيما بعد إلى دمشق عام 1878، ويُقيم عند الأمير عبد القادر شهورًا؟[2]

المبحث الثالث : نهاية الكفاح.

1. استسلامه:

صوَّر مارتينفال، من خلال تقريره، استسلام بومعزة كنتيجة متوقَّعة وحتميَّة لعجز الجزائريين عن مقاومة القوات الفرنسية، وعلى الرغم من محاولته التقليل من قيمته ومقاومته، إلا أنَّه لم يُخفِ إعجابه بقوَّة وذكاء بومعزة.

فعقب مطاردات متواصلة، ذهب بومعزة إلى أولاد ساسي نحو تقرت، لكن تم عقد اتفاق بين الجنرال ماري وخليفة الأغواط بتسليم بومعزة مقابل مبلغ من المال، فقام بمطاردته، واضطُرَّ بومعزة للفرار والاختباء والسير ليلًا بعد علمه بالاتفاق، حتى لا ينكشف أمره بعد مسيرة طويلة. [3]

يقول مارتينفال في تقريره: «إنه في 11 مارس 1847 توجَّه قائد أولاد بسام نحو شراقة لمقابلة رئيس المكتب العربي ثنية الحد، الملازم مارغريت. بعد فترة قصيرة، انضم إليه فرسان محلِّيُّون ظهرت على وجوههم علامات الخوف، حيث حكوا أن بومعزة قد مرَّ بالقرب من الدواوير، مُهدِّدًا إيّاهم بالموت، على الرغم من قِلَّة عدد القوَّة الفرنسية التي كانت تتكوَّن من 22 سباهيًا و17 مخزنيًّا. قرَّر الملازم مارغريت تعقُّبه، وبعد 3 ساعات من المطاردة

[1] أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1900**، المرجع السابق، ص293.

[2] محمد بن عبد القادر: المرجع السابق، ص314.

[3] حورية جيلالي: المرجع السابق، ص66.

تمكَّن من اللحاق به. كان موقف الملازم مارغريت في هذه المواجهة صعبًا كونه الفرنسي الوحيد في مواجهة العرب، حلفاء وأعداء. تمكَّن الملازم من هزيمة بومعزة، ورغم ذلك، قاوم الهجوم ودافع عن نفسه كأسد، وسرعان ما اختفى في الغابة،[1] حيث قام الملازم بتفتيشها، فوجد فيها أمتعة بومعزة التي فقدها عند انصرافه مسرعًا (برنوسه، وسَرج حصانه، وصندله)، بالإضافة إلى أقمشة ونحو 1200 فرنك نقديٍّ كان بحوزته، كما عُثر على سجلات نفقته، وقائمة بأسماء القبائل وزعماء الظهرة الذين قام بتوزيع الأحصنة والأسلحة عليهم". [2]

تنقَّل بومعزة من قبيلة إلى أخرى، حتى وصل إلى أولاد يونس، وهناك التقى بأحد أصدقائه المقرَّبين، وهو قائدها المدعو الحسني، وكان هدفه من هذا اللقاء القيام بانتفاضة جديدة، لكنَّه وجد نفسه في حضرة أربعة من المخزنية التابعين للكولونيل سانت آرنو، عندها اتخذ موقفه بحزم، وطلب منهم أخذه إلى قائدهم بـ"أورليان ڤيل"، وتم اصطحابه إليه في 13 أفريل 1847، وهم يرتجفون[3]، لدرجة أنهم لم يتمكنوا من تجريده من أسلحته، حيث كان بحوزته مسدَّسان بهما 8 رصاصات، وبقي محتفظًا بهما إلى غاية لقائه بسانت آرنو[4]، والذي مشى نحوه – حسب تقرير مارتينفال – بخطوات هادئة وبطيئة مخاطبًا إيّاه: «يا فرنسي، فقدتُ فرساني ضدك في أغلب المعارك، ورأيتُ شجاعتك، فقرَّرتُ ألا أُسلِّم نفسي لأحدٍ غيرك"، وقد شبَّه مارتينفال موقفه بموقف نابليون في رسالته الشهيرة إلى الأمير الوصي في إنجلترا[5] بعد هزيمته في معركة واترلو في 18 جوان 1815، يطلب فيها اللجوء السياسي في بريطانيا، حيث كان محتواها: «صاحب السمو الملكي، عرضة للفِصَال التي تُقسِّم بلادي، ولعداء أعظم

[1] Eugène de Martinval, op, cit, p,p 13,14.

[2] ibid, p15.

[3] Berard. M.JH.P.L, op, cit, p151.

[4] فارس العيد: **مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله (الملقب ببومعزة) (1844–1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين –كتاب سانت آرنو انموذجا–**، **مجلة الرواق**، مجلد8، ع2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2022 ، ص-ص 167-181.

[5] Eugène de Martinval , op, cit, p17.

قوى أوروبا، لقد أنهيتُ مسيرتي السياسية، وأتيتُ مثل ثيميستوكليس، لأُلقي بنفسي على ضيافة الشعب البريطاني. أضع نفسي تحت حماية قوانينهم التي أطلبها من صاحب السمو الملكي كأقوى، وأثبت، وأكرم أعدائي».[1]

هذه الإشارة الرمزية تحمل بُعدًا تاريخيًّا وسياسيًّا، كما تعكس العلاقة بين القادة المختلفين، حيث تُظهر عنصر الشرف والاعتراف بالعدو كشريك قوي، وهذا ما وصفه سانت آرنو في إحدى رسائله اعترافًا بقوة بومعزة، بأن نهاية مقاومته تُعد إنجازًا كبيرًا يفتح الباب أمام استقرار السلطة الفرنسية بأمان في الجزائر[2]. هذا ما أكَّد عليه مارتينفال في تقريره بأن اعتقال بومعزة فَالُ خيرٍ لاحتلال الجزائر.

يقول بيرارد في كتابه مدينة تنس وبومعزة إنَّه رأى بومعزة فوق مرتفعات تنس القديمة قادمًا مع القائد ريتشارد، واصفًا حالته أثناء الاستسلام: «إن بومعزة رجل مُرعب، حيث ظهر على ظهر الخيل مُنتصبًا وفخورًا، وذقنه وفمه مُغطَّيان بحافة برنوسه، عيناه منخفضتان، وكان تعبيره جادًّا». وجده شخصيَّة مُلهِمة، لم يتجاوز الخامسة والعشرين عامًا.[3]

فرغم استسلام بومعزة وهزيمته عسكريًّا، إلا أنَّه ظهر مُنتصبًا فخورًا على ظهر حصانه، يحمل ملامح الزعيم الثوري الذي لم تُفقِده هزيمته كرامته.

2. بومعزة في باريس

حاول مارتينفال، من خلال تقريره، تصوير بومعزة أثناء تواجده في مارسيليا وباريس بشكل ساخر، كشخصيَّة الغريب المنبهر بالحضارة الفرنسية، بهدف إظهار التفوُّق الفرنسي الحضاري. فبعد استسلام

[1] Napoléon Bonaparte**, Lettre Adressée au Prince Régent D'Angleterre Depuis Rochefort(13 juillet 1815),** Consulté sur Age of Revolution Le17 avril 2025 à 12am.

[2] فارس العيد: المرجع السابق، ص ص167-181.

[3] M.JH.P.L.Berard, op, cit, p152.

بومعزة، تم إرساله مع القائد ريتشارد إلى فرنسا، وحاولت الإدارة الفرنسية الاستدمارية إعادة تشكيل هويَّته الثقافية عن طريق استعمال الموسيقى كوسيلة تهذيبية لهذا "المتمرِّد"، ومحاولة إدخاله في أجواء الصالونات الباريسية.

ففي سنة 1847، أُقيم حفل موسيقي في مارسيليا للأختين ميلانولو[1] ، كانت حفلتهما تعكس الذوق الفرنسي الأوروبي، وقد نالتا شهرة واسعة بين الطبقات البرجوازية، وكان يُنظر إليها كوسيلة من وسائل التَّحضُّر الثقافي. وقد ورد في تقرير مارتينفال حضور بومعزة لهذه الحفلة وتأثُّره بعزفهما، حيث لم تُستعمل هذه الموسيقى لغرض فني، بل استُعملت كأداة سياسية لطمس رمزية المقاومة بما يخدم المشروع الفرنسي الاحتلالي.[2]

وصف مارتينفال مدى تأثُّر بومعزة وانبهاره بالموسيقى والحضارة الفرنسية، وقد لفت هذا الأمر هيكتور برليوز[3]، ففكَّر في تأليف سمفونية بدويَّة مستوحاة من قصة بومعزة والأمير عبد القادر، يُصاحب اللحن أصوات إطلاق النار وضرب الخيول لتحقيق أقصى تأثير، وقد أبلغ كلَّ باريس عن هذا، لكنَّه تخلَّى عن الأمر ولم يُنجز.[4]

تأثُّر بومعزة بالموسيقى اعتُبر دليلًا على نجاح الهيمنة الثقافية الفرنسية. ولم يتوقَّف الأمر عند هذا، بل تجاوز ذلك إلى[5] محاولات إنجاز قطع موسيقية مثل Quadrille Bou-Maza التي ألَّفها رييه، والتي ساهمت في تحويل صورة القائد بومعزة من زعيم مقاومة إلى شخصيَّة فولكلورية تُستهلك في الصالونات. هذا التناول

---

[1] الأختين تيريزا وماريا ميلانولو: تيريزا ميلانولو ولدت في 28 اوت 1827وماريا ميلانولو ولدت في 18 جوان 1832في مدينة سافينيانو بإقليم بيدمونت الإيطالي، كانتا عازفتي كمان بارعتين خلال القرن 19 واعتبرتا من أوائل النساء اللواتي حققن شهرة واسعة في مجال الموسيقى الكلاسيكية، توفيت ماريا في عام 1848 بسبب مرض السل واعتزلت تيريزا مسيرتها الفنية بعد موت أختها في أواخر القرن التاسع عشر بعد زواجها من جنرال فرنسي (انظر: Historic Women Performers, The Sisters Milanollo ,Tarisio, Consulté le 19 avril 2025 à 10pm.).

[2] The role of music in france's Colinization of algria (Late1840s-Early 1850s), site de University of Helsinki. Consulté le 19 avril 2025 à 11 pm.

[3] مؤلف موسيقي وناقد فرنسي بارز في القرن 19 ولد في 1803 يعد من رواد المدرسة الرومنسية في الموسيقى تميز بأسلوبه الجريء والمبتكر حيث دمج بين الموسيقى والأدب وادخل عناصر درامية في مؤلفاته من ابرز أعماله السيمفونية الخيالية symphonie fantastique. (للمزيد عن حياته انظر:

H. Berliow, **Autobiography of Hector Berlioz, Membre of the institute of France from 1803-1865**, London,1884, p.

[4] Ali farid belkadi ,**le Cherif Boumawa et La Belle Princesse Belgiojoso**, Academia.edu.

[5] The role of music in france's Colinization of algria (Late1840s-Early 1850s), op, cit.

الاستدماري يُبرز كيف سعى الاحتلال الفرنسي إلى طمس رمزية المقاومة، ليس فقط بالقوَّة العسكرية، بل بإعادة تشكيل صورتها ثقافيًّا بما يخدم المشروع الفرنسي.

أراد مارتينفال أن يُفرِغ بومعزة من محتواه الفكري والثقافي، ويُصوِّره بالشخص البسيط المنبهر بالثقافة الفرنسية. ولكن، بومعزة خلال تواجده في فرنسا احتك بالعديد من الشخصيَّات الفكرية والأدبية التي كانت تنشط بباريس، حيث حَظِيَ باستقبال من طرف وزير الشؤون الخارجية السيد جيزو، كما أنه التقى بالأميرة الإيطالية كريستينا، إلى جانب شخصيَّات مرموقة أخرى[1] ، من خلال صالونات النخبة الباريسية، والتي كانت تستضيفها الأميرة، وهي عبارة عن ملتقيات للمفكِّرين والمثقَّفين والسياسيين، تُدار فيها الحوارات السياسية عن الحرية والدفاع عن الشعوب المستعمرة.

استطاع بومعزة، من خلال قوَّة شخصيَّته والتمسُّك بثقافته، التأثير وجذب انتباه المثقفين الأوروبيين، حيث قام خلال فترة نفيه بفرنسا بتدريس اللغة العربية لبروسبر ميريمي(Prosper Mérimée) ، وهو أديب فرنسي ومؤرِّخ وعالِم آثار، كان من المثقفين المهتمين بالشرق وثقافته. وهذا ما يُبرهن على أنه استغلَّ منفاه لنقل المعرفة والهويَّة، واستخدم اللغة كأداة مقاومة رمزية وسط المجتمع الاستدماري. [2]

رغم محاولة مارتينفال، من خلال تقريره، إدماج بومعزة في الحضارة والمجتمع الفرنسي، بهدف إظهاره كمتخلٍّ عن مبادئه وهويته وخاضع لفرنسا، إلا أنه ظلَّ محافظًا على هويَّته، ورافضًا لفكرة الاستسلام، بالرغم من محاولة استمالته، حيث يقول غوستاف فُلبيير في عمله الأعمال الكاملة لغوستاف فولبير: «كان بومعزة أحد أشد خصوم الجيش الفرنسي في الجزائر. تم التعامل معه باحترام كبير من قِبل حكومة لويس فيليب، وقد خُصِّص له مقرٌّ للإقامة

[1] حورية جيلالي: المرجع السابق، ص73.

[2] Ali farid belkadi ,op,cit.

في باريس، مع معاشٍ قدره 15 ألف فرنك. كان محطَّ أنظار في أحد المدرَّجات الخاصة في نادي الفروسيَّة، حيث كان يحتوي النادي على سادة جادِّين، ولكنه كان يقف بلا مبالاة بين ضباط الأركان».[1]

وبالرغم من هذه الامتيازات، إلا أنَّه ظل متمسكًا بهويَّته ومبادئه وأصالته، ففي كل الحفلات والمحافل، كان يظهر بزيِّه التقليدي: البرنوس والعمامة، حيث ظهر أثناء مراسم جنازة الماريشال الدوق دي ريجو في سبتمبر 1847 بلباسه العربي، الذي لفت انتباه الصحافة بشكل مثير.[2]

ظهور بومعزة بهذا الزي بين عدد من الضباط من جميع الفروع، ومن جميع البلدان، لم يكن مجرد مظهر شخصي، بل هو تعبير عن هويته، ومدى محافظته على ثقافته ودينه. وهو تعبير عن مقاومة ثقافية في قلب فرنسا.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن بومعزة كان رافضًا للإقامة في فرنسا وللحضارة الفرنسية، وكان يَطُوق للحرية والعودة إلى الوطن والدفاع عنه، حيث حاول الفرار عدَّة مرات. وهذا ما تم تأكيده في جريدة المبشِّر، لسان حال الإدارة الفرنسية في الجزائر، حيث جاء في نص الخبر كما ورد في أخبار العملات: «إن بومعزة كان بباريس، حاول الهرب، لكن أمسكوه بمرسى حربي، وأُخِذ إلى السجن».[3]

وقد نجح في ذلك بمساعدة حاشية الأميرة الإيطالية كريستينا وبعض الأصدقاء الليبراليين في 24 فيفري 1848، ولكن تم إرجاعه ونقله إلى سجن هام.[4]

---

[1] Ibid.

[2] حورية جيلالي: المرجع السابق ، ص72.

[3] جريدة المبشر، العدد 13، دار مطبعة الدولة، الجزائر، 10مارس1848.

[4] Ali farid belkadi ,op,cit.

وبعد العفو عنه، توجَّه إلى المشرق، لينضمَّ إلى الجيش العثماني ويُشارك في حرب القرم سنة 1854، وبذلك يكون شغله الشاغل طوال إقامته هو الجهاد. [1]

ختم مارتينفال تقريره بقوله: «لقد كَرِهْنا بومعزة عدوَّنا، وسنُحبُّ بومعزة سجيننا، والآن لا يستطيع أن يكون معاديًا... دعونا نستنكر خطاه، ونعجب بشجاعته وجرأته».

رغم أن التقرير سيرة ذاتية تبدو كأنها قصصية للوهلة الأولى، إلا أنها في حقيقتها إعادة كتابة صورة المقاوم بعد هزيمته، ليُقدَّم في شكلٍ جديد كمطيع ومتأثِّر بالحضارة، ممَّا يُساعد في ترسيخ فكرة أن الاحتلال أرقى وأرحم، وأن فرنسا لا تقتل المقاومين بل تُعيد دمجهم في حضارتها، وإظهار تخلي بومعزة عن سيفه ومقاومته مقابل نيل تعاطف المستعمر ومحبته، وهذا ما يخدم أهداف المشروع الفرنسي.

[1] كمال صحراوي: **الشريف بومعزة ثائر الظهرة والونشريس من خلال الكتابات الفرنسية**، ع2، مجلة أبحاث، منشورات دار الثقافة لولاية تيسيمسيلت، ماي2013، ص84.

خاتمة الفصل:

يتبيَّن من خلال تحليل تقرير مارتينفال أن الوثائق الفرنسية لا يمكن أخذها كمصادر محايدة، بل ينبغي التعامل معها بحذر ونقد، خاصَّةً أنها كُتبت ضمن سياق استدماري هدفه تشويه رموز المقاومة. وبين ما ورد من "حقيقة" في وصف مارتينفال للتحرُّكات الميدانية، وما بدا من "تحريف" في تصوير شخصية بومعزة وأهداف المقاومة، يمكن استنتاج أن هذه الوثيقة ذات قيمة تاريخية، لكنها تحتاج دائمًا إلى قراءة مقارنة ومعمَّقة.

خاتمة

من خلال دراستنا للتقرير و انجازنا لهذا البحث استخلصنا عدة نقاط يمكن أن نوجزها في مايلي:

- لعب سكان منطقة الظهرة، والونشريس، وحوض الشلف دورا هاما في مقاومة الشريف بومعزة حيث تلقى دعم كبير منهم لمواجهة الاحتلال الفرنسي.
- عين بيجو حاكما عاما على الجزائر بأمر ملكي صدر بتاريخ 29 ديسمبر 1840، واختارته الإدارة الاستدمارية لدمويته، وكلفته بمهمتين: القضاء على المقاومة المسلحة وتنشيط حركة الاستيطان.
- استخدمت السياسة العسكرية الفرنسية كل الوسائل وشتى الطرق من أجل السيطرة على البلاد والتحكم فيها، واستغلال خيراتها واستعباد أهلها، دون مراعاة لحقوق الإنسان المواطن، ودون أن تأخذهم رأفة إنسانية نحو الأطفال والشيوخ الكبار، وحتى الحيوانات كذلك، فهي الأخرى لم تسلم من بطش العدو. ولعل من أبرز ما قام به المحتل في الجزائر من طرف قواده وجنرالاته هو مجازر محرقة الصبيح.
- تعتبر مقاومة الشريف بومعزة من المقاومات الشعبية الاستثنائية، ذات أبعاد اجتماعية سياسية ودينية والتي استطاعت رغم قصر مدتها تكبيد العدو خسائر كبيرة و الدليل الإرباك الذي وقع في صفوفهم أدى بهم إلى ارتكاب أبشع الجرائم في حق البشرية كرد فعل عشوائي.
- يعتبر تقرير مارتينفال من أهم المصادر التاريخية التي نقلت لنا أحداث المقاومة والتي من خلاله استطعنا معرفة وفهم كيفية تعامل الإدارة الاستدمارية مع قادة المقاومة والتي شكلت خطر كبير على مخططاتهم.
- رغم أن هذا المصدر يعتبر من أهم المصادر التي تناولت سيرة الشريف بومعزة بالدراسة إلا أنه حمل بعض المغالطات، والتحيز في نقل المعلومات والوقائع والتأكيد على التفوق الفرنسي لتبرير تواجد الاحتلال بهدف التحضر، ومحاولة تشويه شخصية القائد الشريف بومعزة وربطه بالخرافة والأسطورة وادعائه للمهداوية بهدف نفي البعد الوطني والسياسي عليه ومقاومته وإرجاعها لمجرد تمرد وتعصب ديني.

- محتوى التقرير عبارة عن تصوير مؤلم للطريقة التي تستغل بها القوى الاستعمارية رموز المقاومة وتحولهم إلى كائنات استعراضية "فبومعزة" كان شخصية تاريخية ثائرة لكن نهايته كانت مأساوية في يد الاحتلال الذي عرف كيف يحوله من رمز مقاومة إلى رمز مسلوب الإرادة.
- يبقى الشريف محمد بن عبد الله شخصية حافظت على مكانتها، وهو عبقرية اجتمعت فيها الكثير من الخصال المفتقدة وجاء في زمن تزايدت فيه الظلمات، وهو شخصية متميزة دينيا ووطنيا حيث كانت له مكانة خاصة، خاض مع جيشه كفاحا ضاريا مع المستدمر الفرنسي الذي استخدم كل الحيل لدحره لكنه لم يفلح.

الملاحق

الملحق رقم 01 : القبائل الجزائرية خلال القرن 19م.

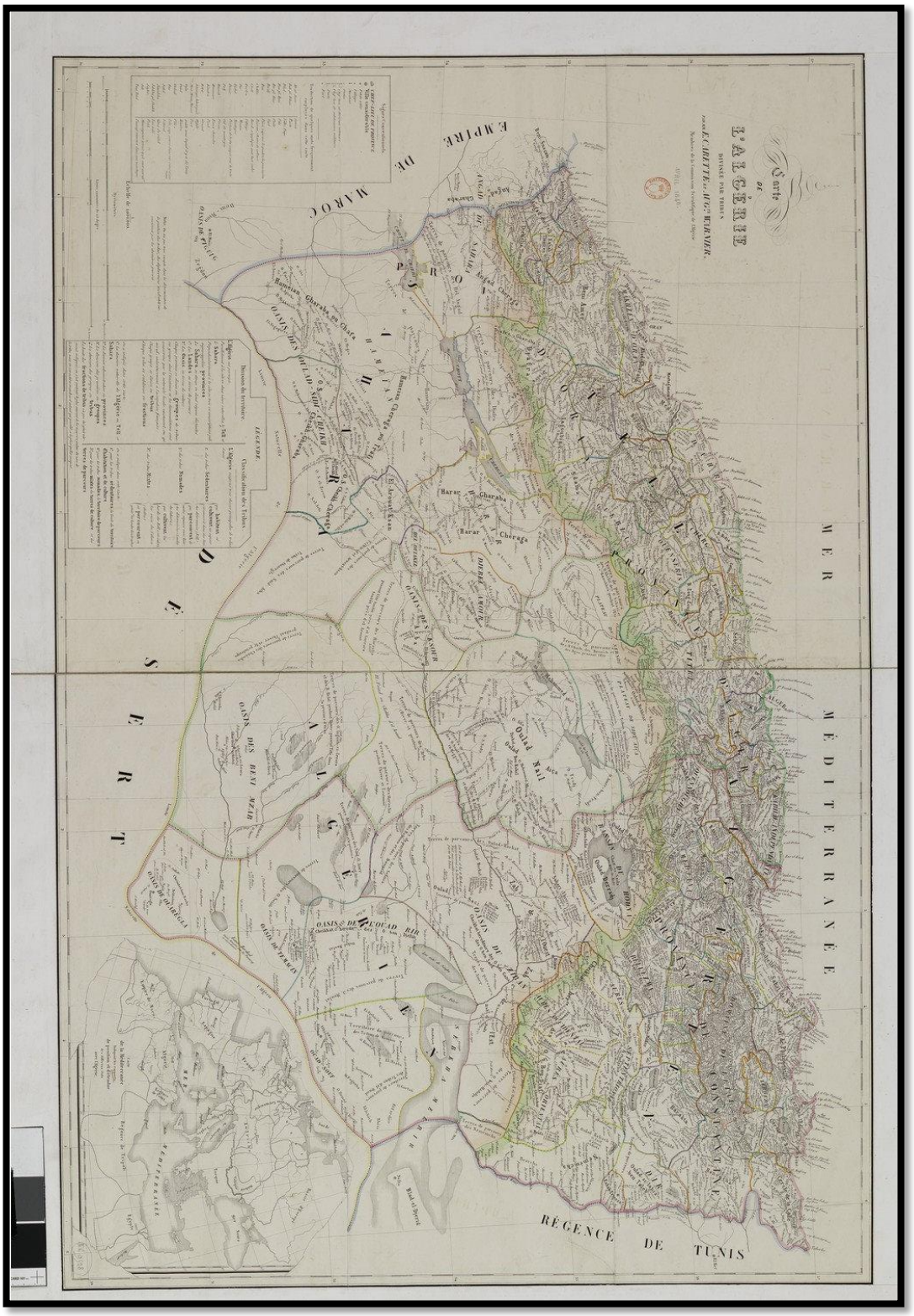

(Carte de l'Algérie divisée par tribus / par . E :المصدر)

الملحق رقم 02: الجنرال بيجو.

(المصدر: cavaliers.blindes, http://cavaliers.blindes.free.fr/, consulter le 24-05-2025, à 8pm.)

الملحق رقم 03: الأمير عبد القادر.

(المصدر: موقع مجلة الانساني https://blogs.icrc.org/، تم الاطلاع عليه في 24-04-2025 16:51)

الملحق رقم 04: الشريف محمد بن عبد الله بومعزة.

(المصدر: متحف المجاهد بالجزائر العاصمة من تصوير الطالبتين).

الملحق رقم 05: صورة بومعزة في جريدة L'Iliustration للرسام غابريال.

L'ILLUSTRATION,

JOURNAL UNIVERSEL.

Ab. pour Paris, 3 mois, 6 fr. — 6 mois, 12 fr. — Un an, 24 fr.
Prix de chaque N°, 75 c. — La collection mensuelle, br., 3 fr. 75.

N° 220. Vol. IX. — SAMEDI 15 MAI 1847.
Bureaux, rue Richelieu, 60.

Ab. pour les dép. — 3 mois, 7 fr. — 6 mois, 13 fr. — Un an, 26 fr.
Ab. pour l'Étranger. — 10 — 20 — 40.

SOMMAIRE.

Bou-Maza à Paris. *Bou-Maza ; M. le capitaine Richard.* — Histoire de la semaine. — Décoration du nouvel Carrousel. *Cinq gravures.* — Courrier de Paris. *Courses de Versailles.* — L'instruction publique en Chine. — L'Homme au pourpoint gris. I. Un gant de femme, par M. E. Dumolay-Bacon. — Musée de Ninive. *Taureau à tête humaine ; personnage combattant un lion ; figure à bec d'aigle ; lion de bronze ; trône ; buste de guerrier ; figure de roi ; personnage conduisant quatre chevaux ; personnage portant une antilope.* — Recherches de M. Boutigny sur l'état sphéroïdal des corps. *Huit gravures.* — Catalogue de la Bibliothèque de M. L. — Ce que l'on voit et ce que l'on entend au Salon, et [illegible] impressions de voyage de la famille Bellot au Musée. *Trente caricatures, par [illegible] Battaille, lithographiques.* — Annonces. — L'archiduc Charles d'Autriche. *Un portrait.* — Principales publications de la semaine. — Rébus.

Bou-Maza à Paris.

Le chérif Bou-Maza, accompagné de M. le capitaine du génie Richard, est arrivé à Paris le 5 mai, à quatre heures et demie du matin, par la malle-poste de Saint-Etienne : il a été installé, par les soins du ministre de la guerre, dans [illegible]

Les lecteurs de *l'Illustration* connaissent déjà en partie sa

Bou-Maza.

M. le capitaine Richard.

biographie de ce chef arabe, qui pendant deux ans a tenu en échec les armes de la France. Les détails que nous avons publiés (voir n° 217, vol. IX, page 118) étaient empruntés à l'ouvrage aussi curieux qu'instructif de M. le capitaine Richard, et intitulé : *Etude sur l'insurrection du Dahra.* Depuis, le *Moniteur algérien* et l'*Akhbar* ont donné sur le même personnage de nouveaux renseignements, communiqués sans doute par la direction centrale des affaires arabes, et, en les reproduisant en partie dans cette notice, nous les compléterons par ceux que nous avons directement recueillis.

M. Richard, sorti de l'École polytechnique en 1836, et de l'École d'application de Metz en 1838, fut envoyé en Algérie en 1840, avec la septième compagnie du deuxième bataillon du troisième régiment du génie. Il débuta dans la carrière militaire à Bougie, où il remplissait les doubles fonctions de chef du génie et de chef du bureau arabe de cette place. Dès son arrivée en Afrique, il avait commencé à s'occuper des affaires arabes, et son esprit investigateur lui permit de recueillir sur la Kabilie d'importants et nombreux renseignements, qu'il a consignés dans un mémoire et dans une carte. De fréquents engagements avec les Kabiles des environs de Bougie fournirent à M. Richard l'occasion de se signaler, et à la suite de l'un d'eux, dans lequel il eut un cheval tué sous lui, il fut en 1843 nommé chevalier de la Légion d'honneur. La même année, ses connaissances spéciales de la langue, du caractère et des mœurs des populations indigènes le firent appeler, en qualité de chef du bureau arabe, à Orléansville, place qui se créait alors sous les ordres de M. le général Cavaignac, et qui, depuis 1844, est passée sous le commandement de M. le colonel de Saint-Arnaud. Dans ce dernier poste, M. le capitaine Richard a fait contre Bou-Maza toutes les campagnes du Dahra, dont il a été l'intéressant et habile historien. Blessé d'une balle à la tête, ses actions d'éclat

(المصدر: L'illustration journal Universel ,N220,vol 9,15Mai1847,Paris, p160.)

الملحق رقم06: عائلة محمد بن عبد الله الملقب ببومعزة.

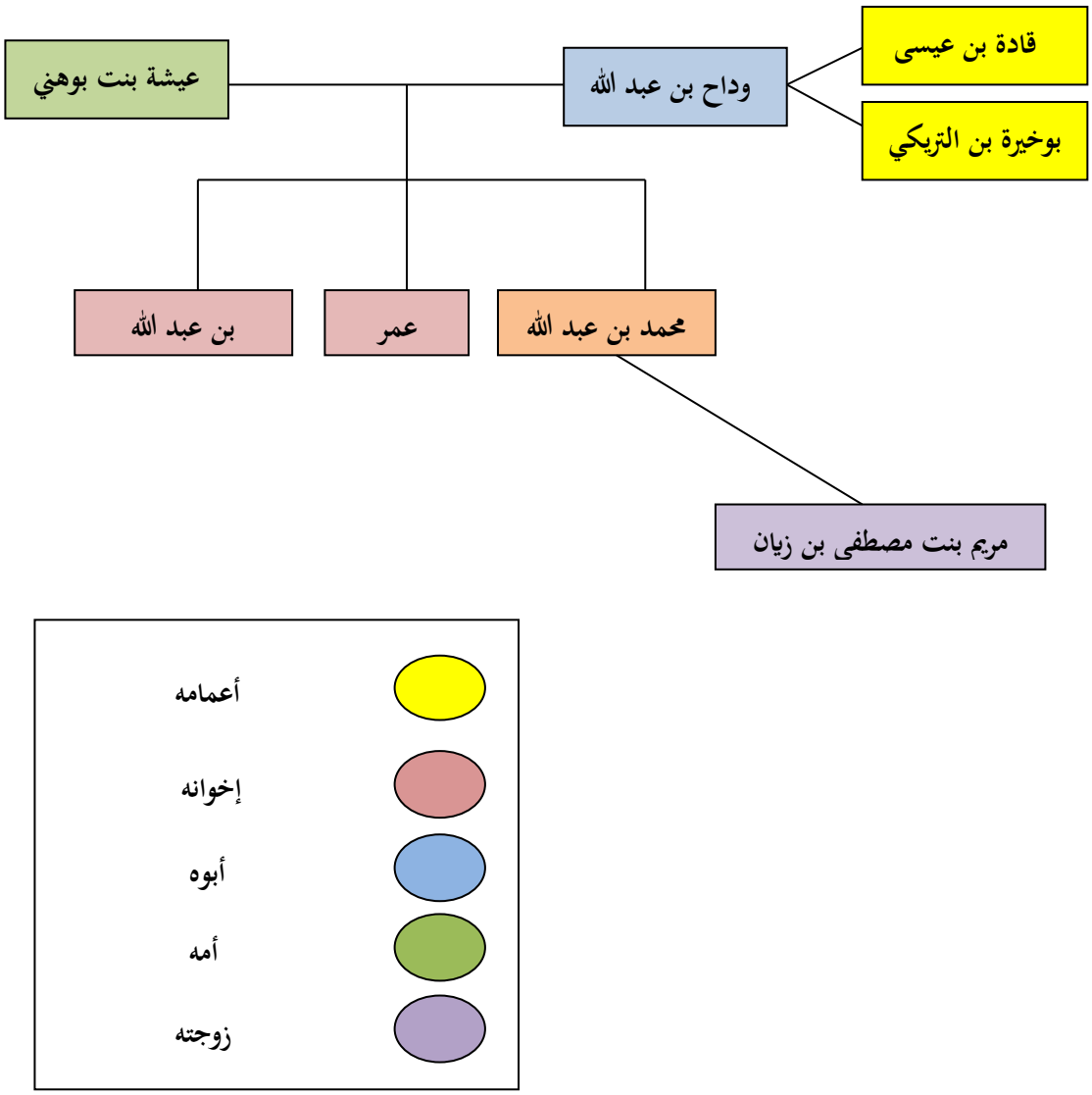

(المصدر: La Passet, op, cit, p,p 94,95)

الملحق رقم 07: تقرير المكاتب العربية بسطيف.

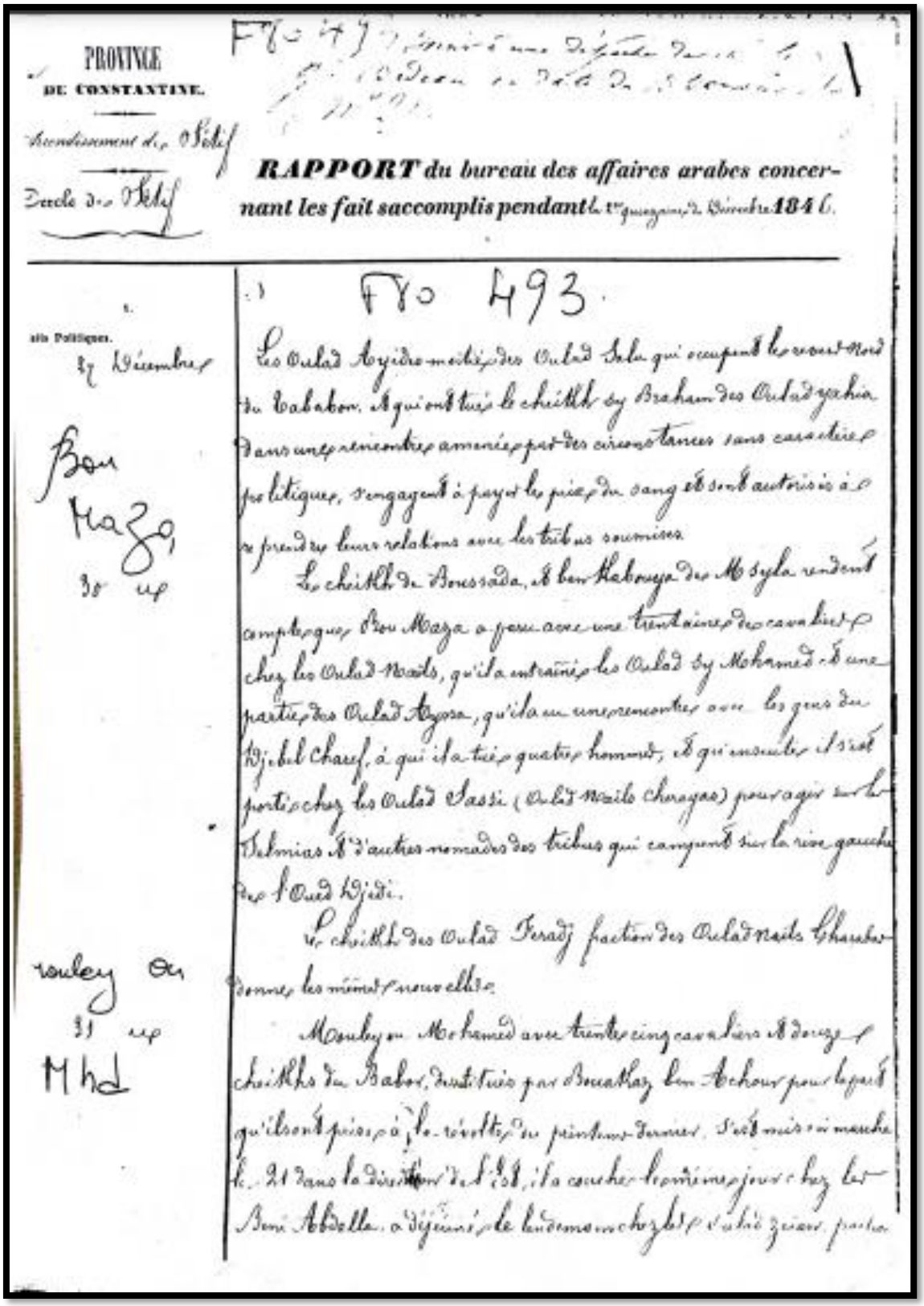

PROVINCE
DU CONSTANTINE.

Arrondissement de Sétif

Cercle de Sétif

RAPPORT du bureau des affaires arabes concernant les fait saccomplis pendant le trimestre de Décembre 1846.

FO 493.

Les Oulad Ayadi-mokhi des Oulad Sela qui occupent le versant Nord du Babor. Ayant tué le cheikh Sy Braham des Oulad Yahia dans une rencontre amenée par des circonstances sans caractère politique, s'engagent à payer le prix du sang et sont autorisés à se prendre de leurs relations avec les tribus soumises.

Le cheikh de Boussada, Ben Hebouya des M'Sila rendent compte que Bou Maza a passé avec une trentaine de cavaliers chez les Oulad Naïls, qu'il a entraîné les Oulad Sy Mohamed et une partie des Oulad Ayssa, qu'il a eu une rencontre avec les gens du Djebel Charef, à qui il a tué quatre hommes, et qu'ensuite il s'est porté chez les Oulad Sassi (Oulad Naïls Cheragas) pour agir sur les Selmias et d'autres nomades des tribus qui campent sur la rive gauche de l'Oued Djedi.

Le cheikh des Oulad Feradj fraction des Oulad Naïls Gharabas donne les mêmes nouvelles.

Moulay ou Mohamed avec trente cinq cavaliers et douze cheikhs du Babor, instruits par Bouakaz ben Achour pour le parti qu'ils ont pris à la révolte du printemps dernier, s'est mis en marche le 21 dans la direction de Sétif, a couché trois jours chez les Beni Abdella, a déjeuné le lendemain chez les Ouled Zeïan, puis

Bou Maza 30 up

Moulay ou Mhd 31 up

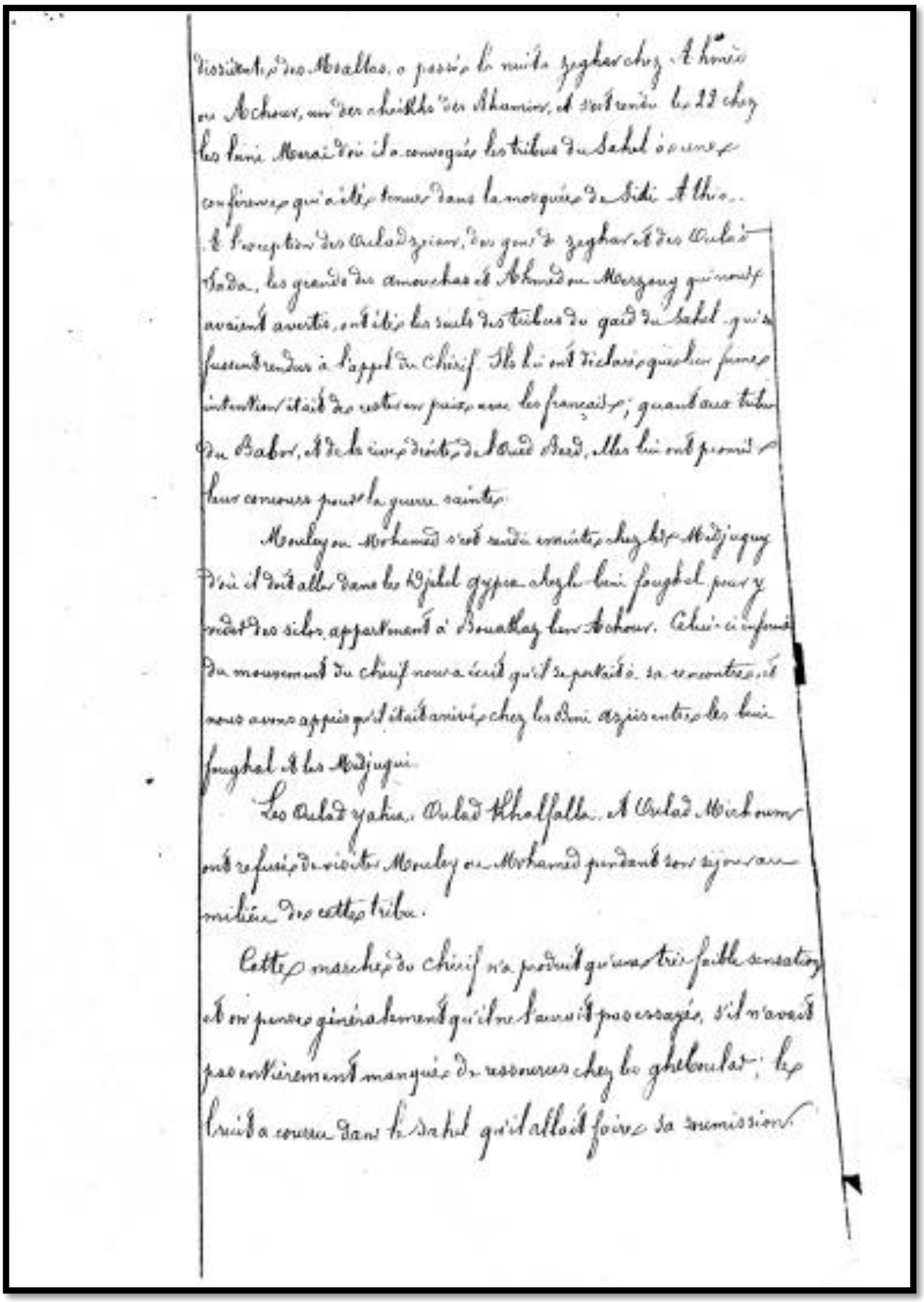

Visite de Moallas. a passé la nuit à zyghar chez Ahmia
ou Achour, ou ber chikh de ber Khamis, il est venu le 22 chez
les Beni Merai ou il a convoqué les tribus du Sahel à une
conférence qui a été tenue dans la mosquée de Sidi Ahm...
à l'exception des Oulad Zyan, des gens de zyghar et des Oulad
Sada, les grands de Amouchas et Ahmed ou Mergany qui nous
avaient avertis, ont été les seuls des tribus du caid du Sahel qui ne
fussent rendus à l'appel du Chérif. Ils lui ont fait savoir que leur
intention était de rester en paix avec les français; quant aux tribus
du Babor, elles ont promis à Moulay Arid, elles lui ont promis
leur concours pour la guerre sainte.

Moulay ou Mohamed s'est rendu ensuite chez les Medjaguy
où il doit aller dans le Djebel Gypse chez les Beni Foughal pour y
visiter les silos appartenant à Bouakaz ben Achour. Celui-ci informé
du mouvement du chérif nous a écrit qu'il se portait à sa rencontre, et
nous avons appris qu'il était arrivé chez les Beni Azzis entre les Beni
Foughal et les Medjaguy.

Les Oulad Yaka, Oulad Khalfalla, et Oulad Mokhnum
ont refusé de visiter Moulay ou Mohamed pendant son séjour au
milieu de cette tribu.

Cette marche du chérif n'a produit qu'une très faible sensation
et on pense généralement qu'il ne saurait pas essayer, s'il n'avait
pas entièrement manqué de ressources chez le ghebulat; le
bruit a couru dans le Sahel qu'il allait faire sa soumission.

ترجمة تقرير مكتب الشؤون العربية، ولاية قسنطينة، دائرة سطيف، حول الأحداث التي وقعت خلال (ديسمبر 1846)، تبين فيها بعض جوانب مقاومة الشريف بومعزة.

شهدت منطقة بابور اضطرابات بين القبائل، اذ قتلت قبائل أولاد أعياد وأولاد سلام الشيخ إبراهيم من أولاد عياشي إثر صراع غير سياسي، وأعلنوا التزامهم بدفع الدية وقطع العلاقات مع القبائل المتمردة.

ظهر بومعزة رفقة حوالي 30فارس عند قبيلة أولا نايل، الذي انظم اليه الشيخ بوسعادة وبن كابوية من مسيلة

نتيجة لهذا الانضمام،قامت مجموعة من أولاد محمد (فرع من أولاد زيغو) في جبال الشارف بالتمرد، فقام بومعزة بتصفية أربعة أشخاص منهم (يبدو أنهم كانوا متعاونين مع المحتل)، ثم انتقل إلى أولاد ساسي (أولاد نايل الشارقة من أجل محاربة أولاد سالمية وبعض القبائل البدوية الأخرى المتمركزة في واد جدي.

وفي الوقت نفسه ظهر مولاي محمد برفقة 35 فارسا من سكان البابور، من بينهم بعض العناصر الذي سبق وأن التحقوا بالشريف بومعزة في بداية جهاده، حيث قام بجولة في المنطقة لعقد تحالفات وتحفيز القبائل للانضمام إليه، لكن الاستجابة كانت محدودة فقد أعلنت بعض القبائل رغبتها في السلم مع الفرنسيين، فتوجه بعض مولاي محمد نحو مضارب بني عبالة وقضى ليلته هناك، وتناول الغداء في ضيافة أحد أعيان القبيلة.

(المصدر: زودنا به الأستاذ صالح بن نبيلي فركوس)

الملحق رقم 08: صورة لغار الفراشيش الذي قتل فيه آلاف الجزائريين.

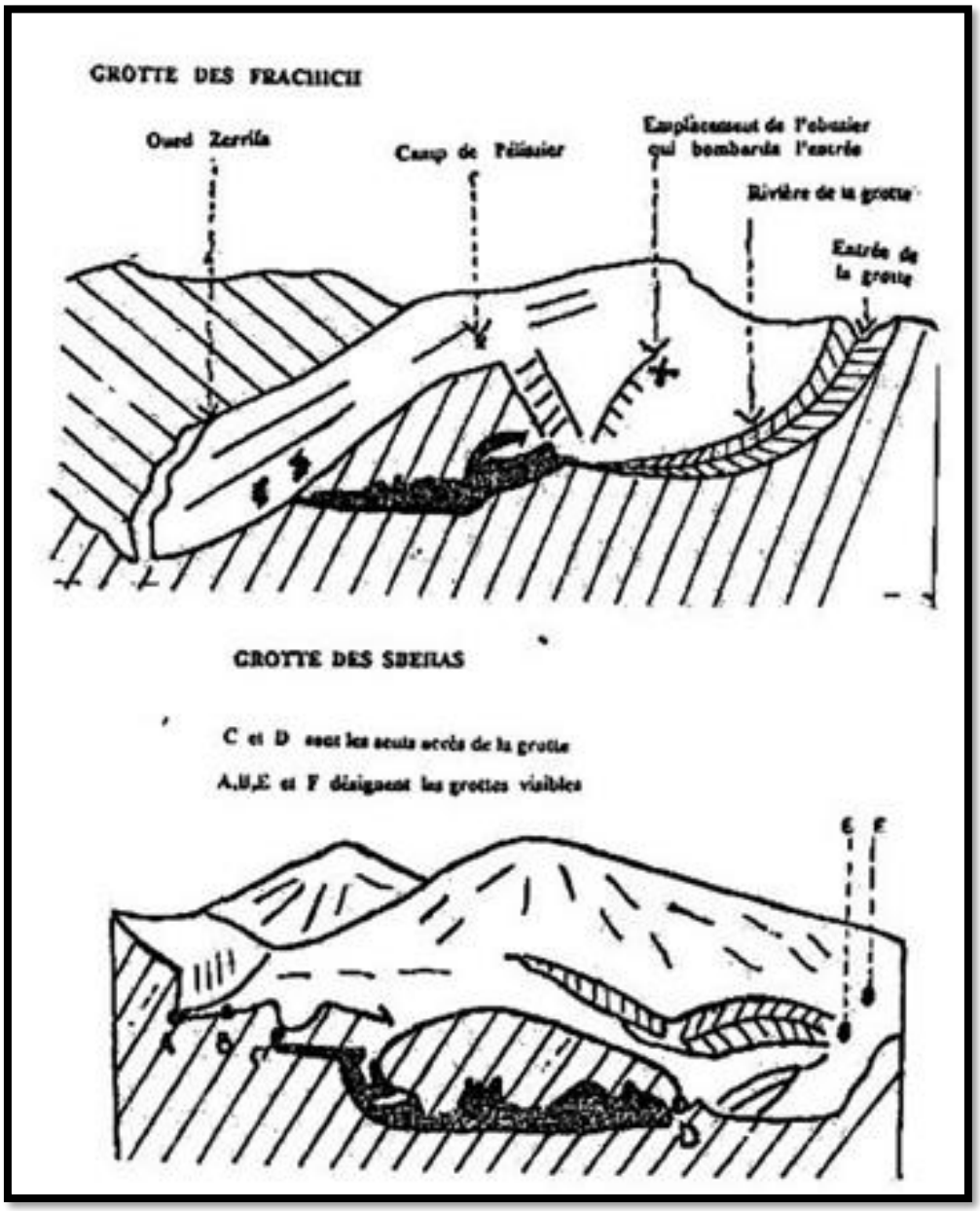

(المصدر: محفوظ قداش: المرجع السابق، ص119)

الملحق رقم09: صورة تعبيرية عن جريمة مغارات الظهرة سنة 1845.

(المصدر: P,Christian, L'Afrique française, L'empire de Maroc et les déserts (de Sahara, éd,illustree, A,Barbier, Paris, 1846, p40

الملحق رقم 10: واجهة التقرير.

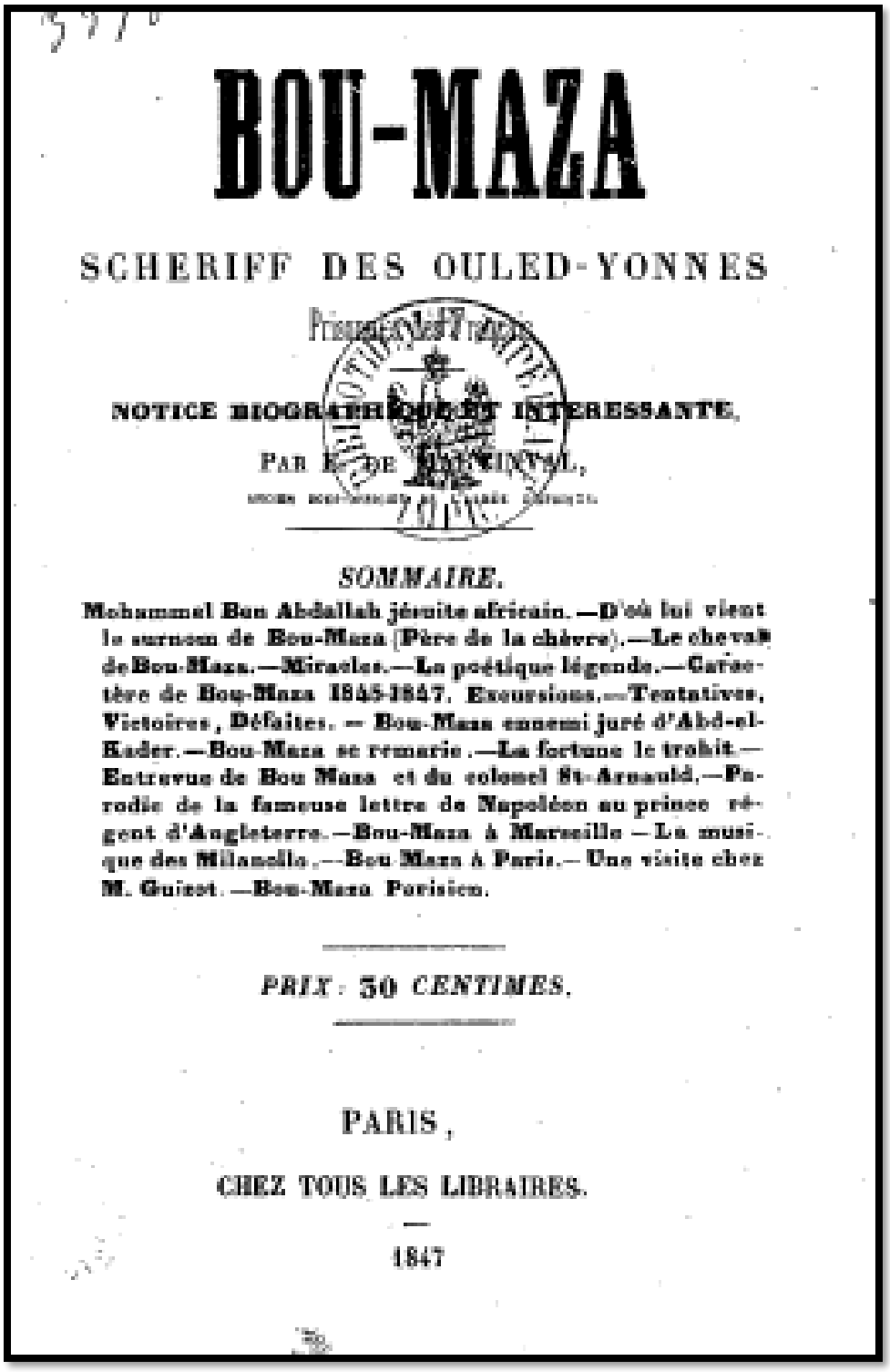

BOU-MAZA

SCHERIFF DES OULED-YONNES

NOTICE BIOGRAPHIQUE ET INTÉRESSANTE,

PAR E. DE MARTINVAL,

SOMMAIRE.

Mohammed Ben Abdallah jésuite africain. — D'où lui vient le surnom de Bou-Maza (Père de la chèvre). — Le cheval de Bou-Maza. — Miracles. — La poétique légende. — Caractère de Bou-Maza 1845-1847. Excursions. — Tentatives, Victoires, Défaites. — Bou-Maza ennemi juré d'Abd-el-Kader. — Bou-Maza se remarie. — La fortune le trahit. — Entrevue de Bou Maza et du colonel St-Arnauld. — Parodie de la fameuse lettre de Napoléon au prince régent d'Angleterre. — Bou-Maza à Marseille. — La musique des Milanolle. — Bou-Maza à Paris. — Une visite chez M. Guizot. — Bou-Maza Parisien.

PRIX : 30 CENTIMES.

PARIS,

CHEZ TOUS LES LIBRAIRES.

1847

(Eugène de Martinval: op, cit :المصدر)

الملحق رقم11: الأختين ميلانولو.

(المصدر: BNF site, https://data.bnf.fr/)

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **السنة النبوية.**

أولا. المصادر:

- **المصادر المخطوطة:**

1. Rapport du bureau des affaires arabes concernant les fait saccomplis pendant décembre 1846. زودنا بها الأستاذ فركوس صالح بن النبيلي

- **المصادر المطبوعة:**

أ. **العربية:**

1. ابن خلدون عبد الرحمان: **مقدمة ابن خلدون**، ج1، طبعة منقحة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001.
2. أبو داود سليمان: **سنن أبي داوود**، تح: محمد محي الدين عبد الله،ج4، ط1، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، 1996.
3. الأمير محمد: **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، ج1، الطبعة التجارية عزوزي، الإسكندرية، مصر، 1903.
4. هاينريش فون مالتسان: **ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا**، تر وتق: أبو العيد دودو، ط1، ج1، دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2008.

ب. **الأجنبية:**

1. Berard .M.JH.P.L, **Les deux villes de tnes et bou maza**, Challamel Aine Librairie, Paris, 1864.
2. Carette Ernes, **Carte de l'Algérie divisée par tribus / par MM. E. Carette et Auguste Warnier**, gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France , 1846.
3. Courserant L.E, **Une Page Glorieuse Du Livre D'or de Mostaganem**, Gallica, Paris, 1892.

4. Daumas E , **Correspondances du capitaine Daumas consul à Mascara 1837-1839,** éd. Jourdan, Paris, 1921.
5. dideville.H, Le Maréchal Bugeaud 1784-1849, librairie de Firmin didot et Cie, imprimeurs de l'institut, Paris, 1882.
6. D'ldeville Le Cte, **Le Maréchal Bugeaud d'après ses correspondances intime et des documents inédits 1784-1849**, Tome 3, Librairie de Firmin- Didot et Cie, Paris, 1882.
7. Faucon. N, **Le Livre d'Or de l'Algérie**, Paris, France, Challamel et Cie Éditeurs,1889.
8. Garrot Henri, **Histoire générale de L'Algérie**, Imprimerie P.crescenzo, Alger, 1910.
9. Général Mantoudon, **Souvenirs militaires, Afrique, Crémée, Italie**, Tome 1, Librairie Ch. Delagrave, Paris, 1898.
10. Herbillon Emile**, Quelaues pages D'un vieux cahier.Souvenirs Du général Herbillon (1794-1866)**, Emile paul freres, Paris, 1928.
11. Hugonnet. F, **Français et Arabes en Algérie**, Lamoricière, Paris, 1860.
12. Jaques Frémeaux, **Les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête**, Denoel, Paris, 1993.
13. La Passet, **L' armée de metz**, Armand Gouguenheim, éditeur, Paris ,1899.
14. Martinval de Eugène, **Le Schriff BouMaza prisonnier des français , Notice biographiaue**, gallica, Paris,1847.
15. Monte Rond De M, **Conquete De L'algérie De 1830 à 1847**, Tome 2, Paris, Imprimerie de marc aurel Editeur, 1847.
16. Perret.E**, Les Français en Afrique**, Bloud et Barral, libraires-Éditeurs, Paris, 1886.
17. Plée Léon, **Abd el-kader, nos soldats, nos généraux et la guerre d'Afrique**, Gustava Barba, Paris, 1866.
18. **R.Vincent, M.Teillet, Géographie De L'Algérie, G'Edition, Oran, 1952.**
19. Reynud de E. Pellissier**, Annales Algériennes**, tome 1, Librairie Militaire, J, Dumain, alger, Librairie Bastide, Paris, 1854.
20. Richard Charles, **Etude de l'insurrection de Dahra (1845-1846)**, Typographie, alger, 1846.
21. Saint Arnaud, **Lettre du Marechal de Saint Arnaud (1832-1854)**, T2, librairie hachette et cie, Paris ,1870.

22. Siroka, **Revue Africaine**, publie par la societe historique algérienne, Adolphe Jourdan, libraire-éditeur, alger, 1912.

23. Victor Hugo, **Choses vues**, Imprimerie Nationale, Paris, 1887.

ثانيا: المراجع:

أ. العربية والمعربة:

1. بوضرساية بوعزة: **سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830– 1930 وانعكاساتها على المغرب العربي**، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

2. بوعزيز يحي: **ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين**، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2009.

3. بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، طبعة خاصة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1999.

4. تشرشل شارل هنري: **حياة الأمير عبد القادر**، تر: سعد الله أبو القاسم، الدار التونسية، تونس، 1974.

5. جوليان شارل أندري: **تاريخ الجزائر المعاصر الغزو وبدايات الاستعمار (1827–1871)**، تر: فاطمي جمال وآخرون، ط1، مجلد1، دار الثقافة، الجزائر، 2008.

6. جيلالي حورية: على خطى الثائر محمد بن عبد الله المعروف بالشريف بومعزة من الظهرة إلى باطوم 1822-1879، مقال ضمن كتاب جماعي: كمال بن صحراوي: **النفي والأبعاد في تاريخ الجزائر المعاصر 1830–1962**، دار النشر ألفا دوك، قسنطينة، 2021.

7. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**، ج5، دار الأمة، الجزائر، 2010.

8. الحاج صادق محمد: **مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1964.

9. سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1900**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

10. سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

11. سلماني عبد القادر: **الإستراتيجية الفرنسية لإجهاض الدولة الجزائرية 1832– 1847**، دار القبضة للنشر، الجزائر، 2012.

12. الشيخ رأفت: **تاريخ العرب المعاصر**، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، مصر، 1996.

13. عباس فرحات: **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر الرحال، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005.

14. العقبي صلاح مؤيد: **الطرق الصوفية بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البرق، بيروت، لبنان، 2002.

15. عيساوي محمد، شريخي نبيل: **الجرائم الفرنسية أثناء الحكم العسكري 1830–1871**، مؤسسة شطيبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

16. فركوس صالح بن النبيلي: **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد (1844–1871)**، وزارة الثقافة، القافلة للنشر والتوزيع، باب الزوار، الجزائر، 2013.

17. فركوس صالح بن النبيلي: **تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)**، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، دت.

18. فركوس صالح بن النبيلي: **تاريخ جهاد الامة الجزائرية للاحتلال الفرنسي المقاومة المسلحة (1830–1962)** ،دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2012.

19. القاسمي عبد المنعم الحسني: **زواية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد 1862–1962**، ط1، دار الخليل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

20. قداش محفوظ: **جزائر الجزائريين (1830–1954)**، تر: محمد المعراجي، منشورات(ANEP)، الجزائر، 2008.

21. لاكوست جوزيف وآخران: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

22. المدني أحمد توفيق: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001.

23. مياسي إبراهيم: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007.

ب. الأجنبية:

1. Moussa Abdelkader : **L' épopée Du Heros Algerien Du Dahra 1822–1879**, Dar Al ikhlas w Asawab ,2022.
2. Belhamissi Moulay, **Histoire de Mazouna**, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger, 1981.

ثالثا: الرسائل الجامعية.

1. بحري أحمد: **حاضر مازونة دراسة تاريخية و حضارية في العصر الحديث 1500–1900**، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2013.
2. شرويك محمد الأمين: **الطرق الصوفية في الجزائر بين ثنايا المقاومة والمولاة للاستعمار 1830–1954**، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2020.

رابعا: القواميس و المعاجم والموسوعات:

1. صحراوي كمال: **معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن التاسع عشر**، ط1، دار النشر ألفا دوك، الجزائر، 2020.
2. مجمع اللغة العربية في مصر: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق، ط4، 1425.
3. نويهض عادل: **معجم الأعلام الجزائرية من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ،ط2 ،مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان،1980.
4. عبد الحميد نعيمة: **موسوعة الأعلام الجزائرية 1830–1854**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007.

خامسا: المجلات و الدوريات:

أ. الأجنبية:

1. Haddad Mouloud, **Les Maîtres de l'Heur Soufismeet eschatologie en Algérie coloniale 1845-1901**, Revue d'histoire du XIXe siécle, N41, 2010.
2. **L'Observateur des Pyrénées**, N57, vol. non précisé, 16 Mai 1847, Tarbes.
3. **Le Charivari**, N15, vol. non précisé, Février 1846, Paris.
4. **Le Mémorial du Gard**, N112, vol. non précisé, 16 Mai 1847, Nîmes.
5. **L'illustration journal Universel** ,N220,vol 9,15Mai1847,Paris.

ب. العربية:

1. أنساعد سميرة: **صورة مدينة الشلف وضواحيها في الكتابات الفرنسية خلال القرن 19**، مجلة الباحث، مجلد10، ع1، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، جوان 2018.
2. بلعزوز العربي: **التوغل الاستعماري في منطقة حوض الشلف الأوسط و موقف سكان المنطقة منه 1842-1846**، مجلة عصور جديدة، المجلد06، ع25، جامعة وهران، الجزائر، 2016.
3. بوعزيز يحي: **المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي**، مجلة الأصالة، العدد 83-84، وزارة الشؤون الدينية والتعليم الأصلي، 1يوليو 1980.
4. جريدة المبشر، العدد 13، دار مطبعة الدولة، الجزائر، 10مارس1848.
5. حباش فاطمة: **انتفاضة سكان الظهرة (1845-1847)**، المجلة الخلدونية، مجلد7، ع1، جامعة تيارت، الجزائر،1 ديسمبر 2014.
6. حريشة جمال، طاليبي علي: **الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية – بعثة لويس أوجين كافينياك 1847-1848 أنموذجا**، مجلة الساورة، مجلد9، ع2، جامعة بشار، الجزائر، 2023.
7. حميدي أبو بكر الصديق: **السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر 1411- 1484**، مجلة البحوث التاريخية ،ع11، جامعة المسيلة، الجزائر، 2017.
8. سلماني عبد القادر: **المحارق الفرنسية ضد الشعب الجزائري بجبال الظهرة 1845**، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد12، ع1، جامعة بشار، الجزائر، 2020

9. صابر نور الدين: **المكاتب العربية و السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر إقليم قسنطينة أنموذجا،** مجلة طبنة، مجلد6، ع1، جامعة الجزائر، 2023.

10. صحراوي صالح، ميسوم ميلود: **السياسة العمرانية في منطقة حوض الشلف خلال العهد الاستعماري 1843-1962 مدينة أورليان فيل نموذجا،** مجلة المفكر، م6، ع2، جامعة الشلف، ديسمبر 2022.

11. صحراوي كمال: **الشريف بومعزة ثائر الظهرة والونشريس من خلال الكتابات الفرنسية،** مجلة أبحاث، ع2، منشورات دار الثقافة لولاية تيسيمسيلت، ماي2013.

12. العاشوري موسى، شرقي أيوب: **الدراسات الفرنسية بالجزائر للظاهرة الدينية للطرق الصوفية للحد من نشاطها الثوري أواخر القرن التاسع عشر،** مجلة قضايا تاريخية، العدد17، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، جوان2012.

13. عطابي جمال: **معالم و أعلام مدينة مازونة التاريخية،** مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مجلد5، ع10، مؤسسة الحكمة، الجزائر، جوان2017.

14. العيد فارس: **مقاومة الشيخ محمد بن عبد الله (الملقب ببومعزة) (1844-1847) من خلال كتابات الضباط الفرنسيين –كتاب سانت أرنو انموذجا–، مجلة الرواق،** م8،ع2، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2022

15. غالم محمد: **ظاهرة المهدي المنتظر في المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين،** مجلة انسانيات، العدد11، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، ماي-أوت 2000.

16. نايلي عبد القادر: **مذكرات العسكريين الفرنسيين خلال فترة الاحتلال الفرنسي و مدى مساهمتها في تدوين تاريخ الجزائر "المقاومات الشعبية أنموذجا"،** مجلة تاريخ العلوم، ع13،جامعة الجلفة، دط، 2020.

17. نغلي إبراهيم: **تاريخ مدينة مليانة من خلال الكتابات التاريخية،** مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ع20، جامعة الشلف، جوان 2018.

18. يختار الحسين:**حقائق من سيرة الثائر الشريف بومعزة،** جريدة الخبر، الجمعة 01 فيفري 2019.

سادسا: المواقع الالكترونية:

أ. المواقع الأجنبية:

1. FM-GACMT: **armée D'Afrique et troupes coloniales, deux entités au service de l'empire 1830-1914**, https://www.fm-gacmt.org/, consulté le 3 avril 2025, à 8 :48 am.
2. Sadki Abdelaziz, **Mouvement chérifien** , https://histoiredelalgerie.over-blog.com, consulté le 10 avril 2025, à 3 :10 pm.
3. Historic Women Performers, The Sisters Milanollo ,Tarisio, https://tarisio.com/, Consulté le 19 avril 2025 à 10pm
4. Napoléon Bonaparte**, Lettre Adressée au Prince Régent D'Angleterre,** https://www.napoleon-empire.org/, Consulté sur Age of Revolution Le17 avril 2025 à 12am.
5. The role of music in France's colonisations of Algeria, https://www.helsinki.fi/, consulté le 12 mai 2025, à 01 : 22 pm.

ب. المواقع العربية:

1. عرب أولاد ساسي، https://tribusalgeriennes.wordpress.com/، تم الاطلاع عليه بتاريخ 15 ماي 2025، على الساعة 02:10 مساء.
2. عمي موسى، https://ammimoussa.fr ، تم الاطلاع عليه بتاريخ 15 ماي 2025، على الساعة 02:00 مساء.
3. مولاي، https://www.almaany.com، اطلع عليه بتاريخ 11 ماي 2025، على الساعة 23:40.
4. ازدهار بوشاقور: **الشريف محمد بن عبد الله الملقب ببومعزة**، https://www.jana.ps، تم الاطلاع عليه بتاريخ 6 مارس2025، على الساعة 12:30 ظهرا.

فهرس

المحتويات

مقدمة 02

الفصل الأول: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من الخلفيات إلى النتائج 1844-1847.

تمهيد 12

المبحث الأول: المنطلقات الجغرافية و التاريخية للمقاومة 13

1. المجال الجغرافي 13

2. أوضاع المنطقة قبل اندلا ع المقاومة 15

المبحث الثاني: سيرة الشريف محمد بن عبد الله ..... 18.

1. نسبه و تكوينه الديني 18

2. حياته في المنفى 23

المبحث الثالث: دوافع و حيثيات المقاومة ونتائجها 27

1. أسباب المقاومة 27

2. مراحل المقاومة ونتائجها 31

خاتمة الفصل 44

الفصل الثاني: تقرير مارتينفال: دراسة وصفية تحليلية.

تمهيد 46

المبحث الأول: وصف التقرير 47

1. التعريف بالتقرير 46

2. محتوى التقرير و أهميته 48

المبحث الثاني: تقديم التقرير 52

1. التعريف بالمؤلف 52

2. ملخص عام حول التقرير 53

المبحث الثالث : ترجمة التقرير 56

1. الترجمة الحرفية 56

2. شرح المفاهيم الواردة فيه 72
خاتمة الفصل 76

الفصل الثالث: مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من خلال تقرير مارتينفال: بين الحقيقة و التحريف

تمهيد 78
المبحث الأول: ذكره لسيرته 79
1. نشأته 77
2. كنيته 81
المبحث الثاني: مساره النضالي 84
1. الحملات العسكرية (1845-1847) 84
2. علاقته مع الأمير عبد القادر 88
المبحث الثالث : نهاية الكفاح 91
1. استسلامه 91
2. بومعزة في باريس 93
خاتمة الفصل 99
خاتمة 101
الملاحق 104
قائمة المصادر و المراجع 118
فهرس المحتويات 128

الملخص

خلال الحملة الفرنسية على الجزائر اهتم الكثير من القادة الفرنسيين بالأحداث التي جرت وقائعها على أرضها، ومنها المقاومات الشعبية التي دونوا وقائعها. حيث تستهدف هذه المذكرة إلى دراسة لأحد أبرز قادة المقاومة الشعبية في الوسط الغربي الجزائري خلال القرن التاسع عشر ضد الاحتلال الفرنسي "الشريف بومعزة"، من خلال تسليط الضوء على مسار حياته ونضاله والوقوف عند أهم أسباب مقاومته ومراحلها، بالإضافة إلى دراسة وصفيه تحليليه لتقرير الضابط الفرنسي يوجين دو مارتينفال كمصدر تاريخي وثق هذه المقاومة من منظور فرنسي حيث تم ترجمة التقرير ومقارنته بالحقائق التاريخية بإبراز جوانب الانحياز في سرد الأحداث، تسعى هذه المذكرة لإعادة قراءة مقاومة شريف بومعزة من خلال هذا التقرير في محاولةٍ لفهم الحقيقة التاريخية وكشف ما طالها من تشويه وتحريف في الرواية الفرنسية.

الكلمات المفتاحية: الشريف بومعزة، تقرير الضابط مارتينيفال، المقاومة الشعبية، الاستعمار الفرنسي.

Résumé:

Au cours de la conquête française de l'Algérie, de nombreux officiers français se sont intéressés aux événements qui s'y sont déroulés, notamment aux résistances populaires qu'ils ont documentées. Ce mémoire vise à étudier l'un des chefs les plus marquants de la résistance populaire dans le centre-ouest algérien au XIXe siècle contre l'occupation française, à savoir "le Chérif Boumaâza", en mettant en lumière son parcours, sa lutte, les principales causes de sa résistance et ses différentes étapes. Il propose également une étude descriptive et analytique du rapport de l'officier français Martineval, en tant que source historique ayant documenté cette résistance du point de vue français. Le rapport a été traduit et comparé aux faits historiques pour faire apparaître les biais dans le récit des événements. Ce mémoire cherche ainsi à revisiter la résistance du Chérif Boumaâza à travers ce document, dans une tentative de comprendre la réalité historique et de dévoiler les altérations et falsifications présentes dans la version coloniale française.
Mots-clés: Chérif Boumaâza, rapport de l'officier Martineval, résistance populaire, colonisation française.

Abstract:

During the French campaign in Algeria, many French officers showed a strong interest in the events that took place on Algerian soil, particularly in the popular resistances, which they documented. This dissertation aims to study one of the most prominent leaders of the popular resistance in the central-western region of Algeria during the 19th century against French colonization, namely "Sharif Boumaâza", by highlighting his life path, struggle, key causes of resistance, and its main phases. The study also provides a descriptive and analytical reading of the report written by the French officer Martineval, as a historical source that recorded this resistance from a French perspective. The report was translated and compared with historical facts in order to exposethe bias and distortion in the colonial narrative. This work seeks to re-examine the resistance of Sharif Boumaâza through this report in an attempt to understand the historical truth and uncover the manipulation and falsification it underwent in the French version.
Keywords: Sharif Boumaâza, Officer Martineval's Report, Popular Resistance, French Colonization.

Ministry of Higher Education and Scientific Reasearch
University Mohamed El Ibrahimi of Bordj Bou Arreridj

Faculty of Social Sciences and Humanities
Departement of History
Serial Number
Registration Number

The Resistance of Sharif Mohamed Ben Abdallah Boumaza (1844-1847) as Reflected in the Report of the French Officer Eugène de Martinval

"Bou-Maza, the Sharif of Ouled-Younes, Prisoner of the French: Biographical and Interesting Notice".

A thesis submitted for a Master's in the history of the Algerian resistance and national movement (1830-1954)

Presented by:
Chaima Medjili
Lamia Bouguettaya

The supervisor:
D. Jamal Eldin Amraoui

Board of Examiners

Name and Surname	Scientific level	Rank
D. Salah Benalem	Professor –B–	President
D. Jamal Eldin Amraoui	Professor –A–	Supervisor and Rapporteur
D. Abdelrazak khedour	Professor –B–	Examiner

College year: 2024–2025.